الأسرة المسيحية المثالية

(٤)

الوالدية مسئولية أمام الله و الكنيسة

الأنبا بولا
أسقف طنطا و توابعها

مطرانية طنطا وتوابعها

الأسرة المسيحية المثالية

(٤)

الوالدية
مسئولية أمام اللَّه والكنيسة

إعداد

الأنبا بولا

أسقف طنطا وتوابعها

اســـــم الكتـــــاب : الأسرة المسيحية المثالية
(٤) الوالدية مسئولية أمام اللَّه والكنيسة
إعـــــــــــــداد : الأنبا بولا ـ أسقف طنطا وتوابعها
الطبعـــــــــــــة : الأولى ـ ٢٠١٥ م

فصل ألوان وطباعة :
مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط
موبايل: ٢ / ٠١٢ .٥٥٥.٤٤١ & تليفاكس: ٠٣ ٤٥٩٦٤٥٢

رقـــم الإيـــداع : ٧٤٨٢ / ٢٠١٥
الترقيم الدولي : I.S.B.N.: 978 - 977 - 5118 - 78 - 3

قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٨

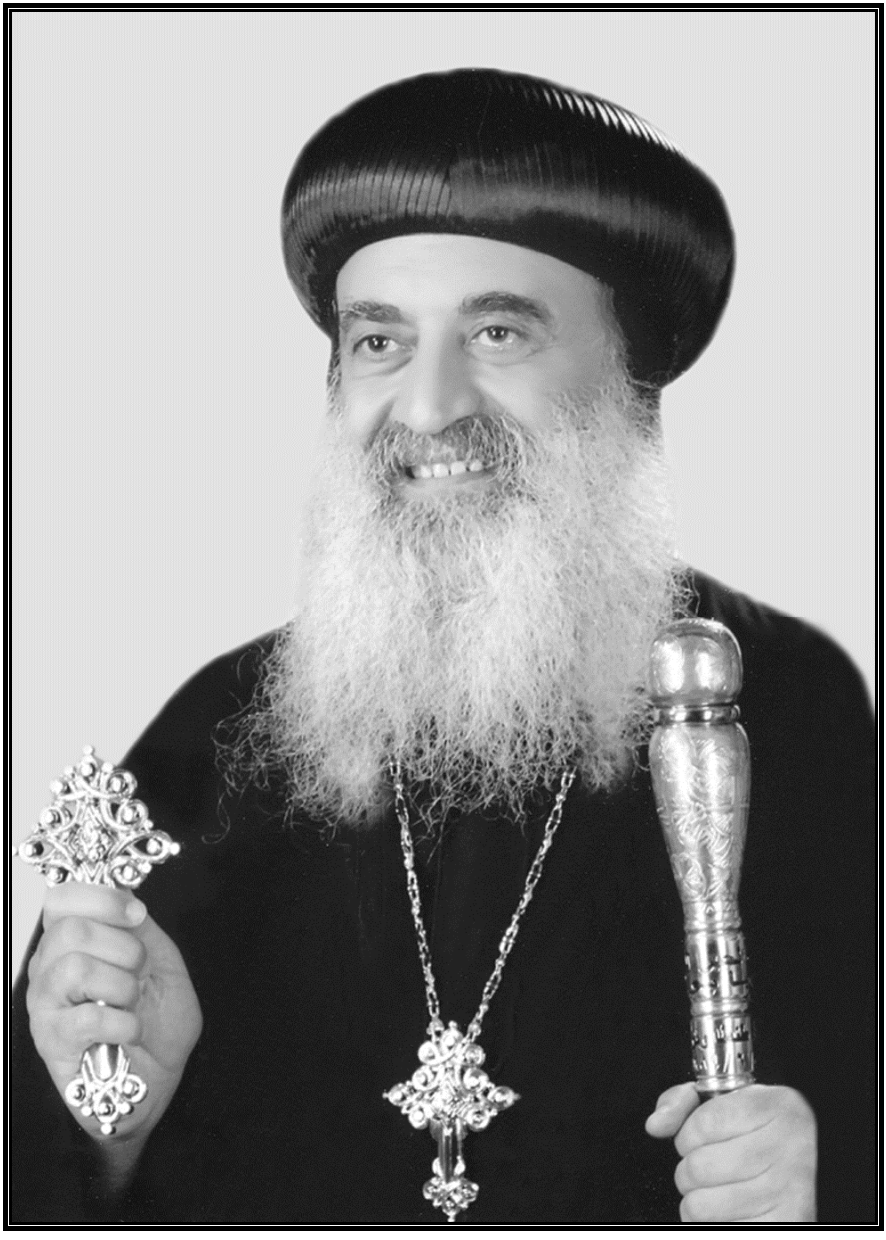

نيافة الحَبر الجليل الأنبا بولا

أسقف طنطا وتوابعها

مقدمة

الطفل هو جزء من الحاضر وهو كل المستقبل، فإذا أردنا أن نهتم بالمستقبل، علينا بالاهتمام بالطفل.

الطفل هو قاموس بلا كتابة وقت مولده، وفي طفولته يتم تسجيل كل المفردات، فذاكرته وقت مولده فارغة تماماً، وفي سنواته الأولى يتم تخزين أغلب مفردات الكلام والكثير من الخبرت.

في بداية مولده ربما نشبهه بشريط فيديو خام لم يتم تسجيل شيء عليه، ومع سنوات عمره الأولى يتم تسجيل بل حفر المعلومات والمعارف والأحداث التي تؤثر كثيراً في مستقبله الروحي والاجتماعي والعلمي والمعرفي، بل والأبدي.

ومن هنا ندرك أهمية الاهتمام بالطفل، حيث ينبغي أن يأخذ أولوية اهتمام الكل (الدولة والمجتمع والكنيسة والأسرة).

لقد تعلّمت الكثير من وسائل الاهتمام بالطفل، وكان أغلبها م
ن خلال القرءات، وبعضها من خلال معاملات الآخرين مع الطفل.

لقد تعايشت وتعلّمت من قداسة البابا شنوده الثالث نيح اللّه نفسه كيف يجذب الطفل إليه، فلم أرَ أطفالاً يرتبطون بشخص يقابلونه لأول مرة مثلما ريته مع قداسة البابا شنوده، ولم أرَ ضحكات أطفال في تعاملاتهم مع كبير مثلما ريتها في تعاملاتهم مع المتنيح البابا شنوده الثالث.

ونشكر اللّه كثيراً حيث أشعر بطمأنينة بالغة على مستقبل الكنيسة لأن على رسها قداسة البابا تواضروس الثاني والذي كان من أهم اهتماماته في فترة حبريته كأسقف عام هو الطفل، وسننتظر الكثير من قداسته في مجال خدمة الطفل.

وأتمنى أن أرى قناة قبطية متعدّدة اللغات تُقدم برمج جيدة الإعداد للطفل، وأتمنى أن أرى أفلاماً كرتونية قبطية جيدة الصُنع لأجل الطفل القبطي في كل مكان في العالم.

وهنا أُقدِّم لك أيها القارئ العزيز بعض الخبرت والقرءات والتأملات حول الطفل، ويشمل هذا الكتاب:

أولاً: تسليط الضوء على أكثر أطفال التاريخ البشري مثالية، وأعني بذلك الطفل يسوع المسيح.

ثانياً: تسليط الضوء على أبرع خدام الطفل من خلال لقاء وحيد مع الأطفال ولكنه يحوي الكثير من الخبرت لكل خدام الطفولة بل وللآباء والأمهات، فنسلط الضوء على معاملة السيد المسيح مع الطفل.

ثالثاً: ثم دور الكنيسة نحو الاهتمام بالطفل.

ربعاً: نختتم بتفاصيل كثيرة حول دور الأسرة في تربية الطفل.

أرجو أن تكون هذه الدرسة سبب بركة لخدام التربية الكنسية ولكل أب وأم.

الأنبا بولا

خادم كرسي طنطا

الفصل الأول

يسوع المسيح الطفل

لقد تعلّمنا وتتلمذنا كثيراً على السيد المسيح من خلال حياته ومعاملاته اليومية، فتعلّمنا الكثير في كيفية التعامل مع الخطاة وتحويلهم إلى أبرار بل إلى خدام. وتعلّمنا منه كيف نواجه المخطئين في حقنا لكسبهم بالحب. وكخدام استفدنا منه في كيفية إعداده لقادة المستقبل (للرسل) الذين يكملون مسيرة خدمته. تعلّمنا الكثير في أمور كثيرة قدَّم لنا السيد المسيح فيها ذاته قدوة ومثال.

وهنا نسلّط الضوء على السيد المسيح القدوة، والذي قدّم ذاته كطفل مثالي فريد عجيب ليقتدي به كل طفل، وليهتم كل أب وكل أم بتنشئة أطفالهم على صورة ومثال يسوع الطفل.

فالسيد المسيح مرّ بكل مرحل الطفولة وظروفها ..

- مما يجعله يشعر بالطفل وطبيعته واحتياجاته عن خبرة واختبار وليس فقط عن معرفة إلهية غير محدودة.
- وفي هذا أيضاً يُقدّم ذاته قدوة ومثال لكل طفل، ولهذا يقول القديس **أمبروسيوس** عن يسوع الطفل (كان رضيعاً وطفلاً لتكون أنت إنساناً كاملاً). فبمرور السيد المسيح بمرحلة الطفولة بكل ما لها يُقدّم لنا قدوة في كيفية تنشئة الطفل على مثال يسوع الطفل حتى يصبح إنساناً كاملاً.

وهنا نسلّط الضوء على يسوع المسيح الطفل والذي وإن كان قد عاش في كل الظروف المحيطة بالطفولة إلاَّ أننا في نفس الوقت نرى فيه طفلاً فريداً عجيباً.

يسوع المسيح الطفل الفريد

انفرد السيد المسيح وتميز عن كل أطفال التاريخ البشري بأمور عديدة منها:

أولاً: طفل فريد حيث تنبأ عنه الأنبياء في كل أمور حياته قبل مولده:

١) فتنبأ الأنبياء وأعلن رئيس الملائكة الجليل جبرائيل عن اسمه قبل مولده فتسمى (يسوع) أي (المُخلّص):

"فقالَ لها المَلاكُ: لا تخافي يا مَريَمُ، لأنَّكِ قد وجَدتِ نِعمَةً عِندَ اللَّهِ. وها أنتِ ستَحبَلينَ وتلِدينَ ابناً وتُسَمِّينَهُ يَسوعَ" (لو ١ : ٣٠ ـ ٣١).

٢) ولادته من عذراء مخطوبة:

فيقول إشعياء النبي: **"ولكن يُعطيكُمُ السَّيِّدُ نَفسُهُ آيَةً: ها العَذراءُ تحبَلُ وتلِدُ ابناً وتدعو اسمَهُ عِمّانوئيلَ"** (إش ٧ : ١٤). وكلمة (عذراء) أتت هنا في النص العبري بعبارة (آلما Alma) أي العذراء المخطوبة ... فلقد وُلِدَ من عذراء مخطوبة حتى لا يأتي من نسل بشر لأنه ابن اللَّه المتجسّد، وحتى لا يتم رجم أمه إذا وجِدت حُبلى، وحتى تجد لها معيناً في بيت لحم وفي هروبها لمصر وفي تنشئة يسوع المسيح الطفل.

٣) مكان ولادته:

بل وكطفل فريد حدد الأنبياء مكان ولادته قبل ولادته بأزمنة كثيرة، فنجد ميخا النبي يقول: **"أمّا أنتِ يا بَيتَ لَحمِ أفراتَةَ، وأنتِ صَغيرَةٌ أنْ تكوني بَينَ أُلوفِ يَهوذا، فمِنكِ يَخرُجُ لي الذي يكونُ مُتَسَلِّطاً علَى إسرائيلَ، ومَخارِجُهُ منذُ القَديمِ، منذُ أيّامِ الأزَل** (ميخا ٥ : ٢).

وهو هنا يتحدّث فقط عن ميلاد السيد المسيح لأنه هو وحده الموجود منذ أيام الأزل، فهو وحده الأزلي بين المولودين من النساء.

٤) زمان ولادته:

وكطفل فريد تمّ تحديد زمان ولادته من خلال نبوة دانيال النبي القائل: **"سبعونَ أُسبوعاً قُضيَتْ علَى شَعبكَ وعلَى مَدينَتِكَ المُقَدَّسَةِ لتكميلِ المَعصيَةِ وتتميمِ الخطايا، ولكَفّارَةِ الإثمِ، وليؤتَى بالبرِّ الأبديِّ، ولخَتمِ الرّؤيا والنُّبوَّةِ، ولمَسحِ قُدّوسِ القدّيسين"** (دانيال ٩ : ٢٤).

فالنبوة هنا تخص السيد المسيح وحده، فهو البِرّ الأبدي، فهو البار وحده الذي بلا خطية، حيث يقول عن نفسه: **"مَنْ مِنكُمْ يُبَكِّتُني علَى خَطيَّةٍ؟"** (يو ٨ : ٤٦).

وهو وحده الأبدي الذي ليس لملكه نهاية. لذا فهو وحده (البِرِّ الأبديِّ) وهو وحده (القدوس)، ونرى هذا واضحاً في كلام رئيس الملائكة جبرائيل مع العذراء مريم: **"الرّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ علَيكِ، وقوَّةُ العَليِّ تُظَلِّلُكِ، فلذلكَ أيضاً القُدّوسُ المَوْلودُ مِنكِ يُدعَى ابنَ اللَّهِ"** (لو ١ : ٣٥).

بل حتى الشياطين التي كان يُخرجها من البشر كانت تصرخ قائلة: **"... أنا أعرِفُكَ مَنْ أنتَ: قُدّوسُ اللَّهِ!"** (مر ١ : ٢٤).

والأسابيع هنا في النبوة ليست أسابيع فعلية ولكنها رمزية، ليست أسابيع أيام ولكنها أسابيع سنين، فلقد تجسّد السيد المسيح بعد هذه النبوة بـ ٤٩٠ سنة بالتمام.

٥) الحديث المُسبق عن هروبه لمصر:

فيقول هوشع النبي بروح النبوة: **"لَمّا كانَ إسرائيلُ غُلاماً أحبَبتُهُ، ومِنْ مِصرَ دَعَوْتُ ابني"** (هو ١١ : ١)، وقد حدث هذا بالفِعل، فنجد أن الملاك يظهر ليوسف النجار خطيب مريم العذراء قائلاً: **"... قُمْ وخُذِ الصَّبيَّ وأُمَّهُ واهرُبْ إلَى مِصرَ، وكُنْ هناكَ حتَّى أقولَ لكَ. لأنَّ هيرودُسَ مُزمِعٌ أنْ يَطلُبَ الصَّبيَّ ليُهلِكَهُ"** (مت ٢ : ١٣).

٦) تحديد مكان موطنه (في الجليل) بعد العودة من مصر:

وفي هذا يقول إشعياء بروح النبوة وبصورة رمزية **"ولكن لا يكونُ ظَلامٌ للتي علَيها ضيقٌ. كما أهانَ الزمانُ الأولُ أرضَ زَبولونَ وأرضَ نَفتالي، يُكرِمُ الأخيرُ طريقَ**

البحرِ، عَبرَ الأُردُنِّ، جَليلَ الأُمَمِ. الشَّعبُ السّالِكُ في الظُّلمَةِ أبصَرَ نوراً عظيماً. الجالِسونَ في أرضِ ظِلالِ الموتِ أشرَقَ علَيهِمْ نورٌ. أكثرتَ الأُمَّةَ. عَظَّمتَ لها الفَرَحَ. يَفرَحونَ أمامَكَ كالفَرَحِ في الحَصادِ. كالذينَ يَبتَهِجونَ عِندَما يَقتَسِمونَ غَنيمَةً. لأنَّ نيرَ ثِقلِهِ، وعَصا كتِفِهِ، وقَضيبَ مُسَخِّرِهِ كسَّرتَهُنَّ كما في يومِ مِديانَ. لأنَّ كُلَّ سِلاحِ المُتَسَلِّحِ في الوَغَى وكُلَّ رِداءٍ مُدَحرَجٍ في الدِّماءِ، يكونُ للحَريقِ، مأكلاً للنّارِ" (إش ٩ : ١ ـ ٧).

فالنور العظيم الذي سكن جليل الأمم هو السيد المسيح الذي عاش فيها، ومما يؤكد ذلك أنه بعد هذه العبارات مباشرةً يقول إشعياء: **"لأنَّهُ يولَدُ لنا ولَدٌ ونُعطَى ابناً، وتكونُ الرِّياسَةُ علَى كتِفِهِ، ويُدعَى اسمُهُ عَجيباً مُشيراً، إلَهاً قديراً، أباً أبديّاً، رَئيسَ السَّلامِ. لنُموِّ رياسَتِهِ، وللسَّلامِ لا نهايةَ على كُرسيِّ داوُد وعلى مَملكَتِهِ، ليُثبِّتَها ويَعضُدَها بالحـ ـرِّ، من الآنَ إلى الأبد. غَيرةُ رَبِّ الجُنودِ تصنَعُ هذا"** (إش ٩ : ٦ ـ ٧).

ومن هنا ندرك أن إشعياء النبي يؤكد أن النور الساكن في الجليل هو الصبي يسوع المسيح العائد من مصر.

بل نجد أن الأنبياء تحدّثوا كثيراً بتفاصيل كثيرة عن رسالته الخلاصية وعن مرحل حياته بكل دقة، فتحدَّثوا عن آلامه وعن تفاصيل دقيقة حول صلبه، وعن دفنه ثم قيامته، وعن تفاصيل ما بعد القيامة حتى صعوده.

بلا شك أنه طفل فريد عجيب تتحدَّث عنه الكتب قبل مولده ويتحدَّث الملاك عنه إنه الطفل يسوع المسيح.

ثانياً: طفل فريد في خدمة الملائكة لمولده:

لقد عاشت البشرية فترة طويلة محرومة من أي ظهورت ملائكية حتى اقترب مولد الطفل الفريد يسوع المسيح والذي بمولده انفتحت السماء على الأرض، ونزلت الملائكة إلينا خادمة للعمل الخلاصي وللمُخلِّص يسوع المسيح، وكانت ظهورت الملائكة كالتالي:

١) كانت البداية بظهور رئيس الملائكة جبرائيل لزكريا الكاهن يبشره بميلاد يوحنا المعمدان الذي يهيئ الطريق أمام رب المجد يسوع المسيح والذي يشهد له بلاهوته **"وأنا قد رأيتُ وشَهِدتُ أنَّ هذا هو ابنُ اللَّهِ"** (يو ١ : ٣٤).

٢) ثم كان ظهور رئيس الملائكة للعذراء مريم ليُبشّرها بميلاد يسوع المسيح المُخلِّص فقال لها: **"وها أنتِ ستَحبَلينَ وتلِدينَ ابناً وتُسَمِّينَهُ يَسوعَ"** (لو ١: ٣١).

٣) وكان الأمر الأكثر عجباً في الظهورات الملائكية هو يوم مولده، والذي نلاحظ فيه أمران:

الأمر الأول:

ظهور ملاك الرب المبشّر للرعاة الساهرين على حراسة أغنامهم ليبشّرهم بميلاد يسوع المسيح **"فقالَ لهُمُ المَلاكُ: لا تخافوا! فها أنا أُبَشِّرُكُمْ بفَرَحٍ عظيمٍ يكونُ لجميعِ الشَّعبِ: أنَّهُ وُلِدَ لكُمُ اليومَ في مدينةِ داوُدَ مُخَلِّصٌ هو المَسيحُ الرَّبُّ. وهذِهِ لكُمُ العَلامَةُ: تجِدونَ طِفلاً مُقَمَّطاً مُضجَعاً في مِذوَدٍ"** (لو ٢ : ١٠ ـ ١٢).

الأمر الثاني:

ظهور الملائكة المرّنمين المبشرين، ولكي ندرك هذا الأمر الفريد العجيب الذي يتناسب مع هذا المولود الفريد نعود إلى عادات اليهود في ذلك الزمان، فكان قبيل ولادة طفل يُحضر أهله المغنيين والعازفين للاحتفال بمولده، فإذا كان المولود ولداً تبدأ مراسم الاحتفال بعزف الموسيقى والغناء، وفي حالة ولادة بنت ينسحب المرنمين في هدوء. وهنا في حالة يسوع الطفل الفريد لم يكن هنالك مرنمين لثلاثة أسباب على الأقل:

أ. الفقر الشديد للعذراء مريم ويوسف النجار.

ب ـ ولادة المسيح في بلد بعيدة عن موطن والدته، حيث كانت تعيش في الناصرة بينما الولادة تمّت في بيت لحم.

ج ـ انشغال كل اليهود بالاكتتاب كلٍ في بلدة آبائه **"فذَهَبَ الجميعُ ليُكتَتَبوا، كُلُّ واحدٍ إلى مَدينَتِهِ"** (لو ٢ : ٣).

ولكن كان لا بد أن يتمّ الاحتفال وفقاً لمكانته بغَضّ النظر عن الظروف المحيطة، ولمكانته السامية كطفل فريد كان الاحتفال سماوي، فكانت الجوقة الملائكية. لذا نقرأ في إنجيل لوقا البشير "**وظَهَرَ بَغتَةً مع المَلاكِ جُمهورٌ من الجُند السماويِّ مُسَبِّحينَ اللَّه وقائلين: المَجدُ للَّهِ في الأعالي، وعلى الأرضِ السَّلام، وبالناسِ المَسَرَّةُ**" (لو ٢ : ١٣ ـ ١٤).

وهكذا استمرت خدمة الملائكة للطفل يسوع المسيح، فنجد الملاك يظهر ليوسف النجار ثلاث مرات في الحلم:

المرة الأولى:

عندما شك في حَبَل العذراء مريم، فيقول معلمنا متى البشير "**ولكن فيما هو مُتَفَكِّرٌ في هذه الأُمورِ، إذا مَلاكُ الرَّبِّ قد ظَهَرَ لهُ في حُلمٍ قائلاً: يا يوسُفُ ابنَ داوُدَ، لا تخَف أن تأخُذَ مريَمَ امرأتكَ. لأنَّ الذي حُبلَ به فيها هو مِنَ الرّوحِ القُدُسِ**" (مت ١ : ٢٠).

المرة الثانية:

عندما خطط هيرودس لقتل يسوع "**إذا ملاكُ الرَّبِّ قد ظَهَرَ ليوسُفَ في حُلمٍ قائلاً: قُمْ وخُذِ الصَّبيَّ وأُمَّهُ واهرُبْ إلى مصر، وكُنْ هناكَ حتى أقول لك. لأنَّ هيرودُسَ مُزمِعٌ أنْ يَطلُبَ الصَّبيَّ ليُهلِكَهُ**" (مت ٢ : ١٣).

المرة الثالثة:

في مصر بعد وفاة الملك حيث قال له الملاك " **قُمْ وخُذِ الصَّبيَّ وأُمَّهُ واذهَبْ إلى أرضِ إسرائيلَ، لأنَّهُ قد ماتَ الذينَ كانوا يَطلُبونَ نفسَ الصَّبيِّ**" (مت ٢ : ٢٠).

هل نجد في كل التاريخ البشري مثل الطفل الفريد يسوع المسيح؟

هل نجد هذه الخدمة الملائكية لطفل صغير؟

فقط الطفل الفريد ... يسوع المسيح.

ثالثاً: طفل فريد يهتز له عرش الملك:

نقرأ عن رد فعل هيرودس الملك عند سماعه لخبر مولده "**فلَمّا سمِعَ هيرودُسُ المَلِكُ اضطرَبَ وجميعُ أورُشَليمَ معَهُ**" (مت ٢ : ٣). فمجرّد عِلمه بسؤال المجوس عنه "**أين هو المَولودُ مَلِكُ اليَهودِ؟**" (مت ٢ : ٢)، اهتز الملك لاهتزاز عرشه، وكأنه يسأل نفسه متحيراً: هل يولَد مَلِك آخَر يحتل عرشي من دون نسلي؟ لقد اضطرب الملك وانعكس اضطرابه على كل العاصمة أورشليم.

فهل رأينا من قبل مَلِك يضطرب لميلاد طفل؟ وعرشه يهتز لميلاد طفل؟ ... هل رأيتم عاصمة بأكملها تضطرب لميلاد طفل فقير؟

حقاً إنه الطفل الفريد العجيب يسوع المسيح.

رابعاً: طفل فريد تتحرّك لأجله نجوم السماء:

فنقرأ في إنجيل معلّمنا متى البشير عن سؤال المجوس: "**أين هو المَولودُ مَلِكُ اليهود؟ فإنَّنا رأينا نَجمَهُ في المَشرِقِ وأتَينا لنَسجُدَ لهُ**" (مت ٢ : ٢)، ونقرأ أيضاً: "**فلَمّا سمِعوا من المَلِكِ ذَهَبوا. وإذا النَّجمُ الذي رأوْهُ في المَشرِقِ يتقَدَّمُهُمْ حتَّى جاءَ ووَقَفَ فوقُ، حَيثُ كانَ الصَّبيُّ**" (مت ٢ : ٩)، ويكمل معلّمنا متى كلامه عن المجوس: "**فلمّا رأوا النَّجمَ فرِحوا فرَحاً عظيماً جدّاً**" (مت ٢ : ١٠).

وهنا نلاحظ أن النجم كان خادماً مخصَّصاً للسيد المسيح حيث نقرأ "**رأينا نَجمَهُ في المَشرِقِ**"، وأيضاً نقرأ عن النجم أنه "**يتقَدَّمُهُمْ**" أي أن له مسار مخالف لمسار النجوم، لأن اتجاهه هو مكان الصبي بغضّ النظر عن اتجاه الحركة، وهذا يتنافى مع حركة النجوم التي لها مسار ثابت لا تُغيره، أو أن الأرض هى التي تدور وتتحرّك فتبدو لنا النجوم وكأنها تتحرك عكس اتجاه حركة الأرض في مسار ثابت.

ومما يؤكد أن النجم كان خادماً للسيد المسيح تلك العبارة التي ذكرها معلمنا متى البشير: "**حتَّى جاءَ ووَقَفَ فوقُ، حَيثُ كانَ الصَّبيُّ**"، فهل النجوم وقفت عن

سيرها؟ أم أن الأرض وقفت ولم تعد تتحرّك مما يعطي الإحساس أن النجم يقف؟ بالتأكيد أنها ظاهرة طبيعية فريدة من نوعها، فالنجم المخلوق يتحرّك تجاه الخالق الذي خلقه، النجم النوراني يتحرّك تجاه اللّه مصدر نوره الذي خلق النور منذ البدء **"وقالَ اللَّـهُ: "لـتَكُنْ أنـوارٌ في جَلَـدِ السـماءِ ..."** (تـك ١ : ١٤)، **"فعَمِـلَ اللَّـه النـورَينِ العظيمَين"** (تك ١ : ١٦).

وإن كان النجم قد تحرَّك وقت طفولته، فالشمس أيضاً أظلمت وقت صلبه، بل والأرض تزلزلت عند موته وقيامته. فالأمر يتعلَّق بأحداث جسام تخصّ إله الآلهة ورب الأرباب ... تخصّ الطفل الفريد العجيب يسوع المسيح.

خامساً: طفل فريد يسجد له حكماء المشرق:

إنـه أمر عجيب يخصّ طفل فريد، فحكماء المشرق يأتون خصيصاً لتقديم الخضوع له قائلين: **"أين هو المَوْلودُ مَلِكُ اليَهـودِ؟ فإنَّنا رأينا نَجمَهُ في المَشرِقِ وأتَينا لنَسـجُدَ لـهُ"** (مـت ٢ : ٢). وهذا ما حدث بالفِعل فبمجرد استقرار النجم حيث يوجد الطفل الفريد يسوع المسيح، يذكر لنا معلمنا متى البشير: **"وأتـوا إلى البَيـتِ، ورأوا الصَّبيَّ مع مَريَمَ أُمِّـهِ. فخَرُّوا وسجَدوا لـهُ"** (مت ٢ : ١١).

بل ونجد ما هو أكثر من هذا أن المَلِك نفسه عندما عَلِمَ بمولده يقول: **"ومَتَـى وجَدتُموهُ فأخبروني، لكي آتي أنا أيضاً وأسجُدَ لهُ"** (مت ٢ : ٨).

هل سَمعنا عن أمر مثل هذا من قبل؟

لم ولن نسمع إلاّ عن المولود الفريد ... الطفل يسوع المسيح.

سادساً: طفل فريد في نوعية هدايا مولده:

لقد ولِدَ فقيراً، ورغم فقره نجد حكماء المشرق (المجوس) يقدِّمون له مجموعة من الهدايا الفريدة بصورة عجيبة وفريدة، هذه الهدايا تبدو في تركيبتها غريبة.

فقدّموا لـه ذهباً ولباناً ومرّاً، إنها هدايا فريدة مقدَّمة لطفل فريد... ففي تركيبتها الفريدة تشير إلى طبيعة ورسالة الطفل الفريد، فهو ملك الملوك ورئيس الكهنة الأعظم والذبيح الذي يُذبح عنا لأجل خطايانا. لذا كانت هذه الهدايا الرمزية التي تشير إلى أهم وظائفه الخلاصية والتي تمثل أساس الخلاص الذي تمَّمه لأجلنا: المُلك والكهنوت والصَلب.

سابعاً: طفل فريد في شدّة فقره:

فبالرغم من خدمة الملائكة لمولده، وبالرغم من مجيء حكماء المشرق للسجود له، وبالرغم من الذهب الذي أُعطِيَ له كإحدى هدايا مولده. وبالرغم من اضطراب المَلِك وكل أورشليم لمولده، وبالرغم من كل هذه المكانة ... إلا أننا نجده في مولده كأفقر من وُلِدَ في كل التاريخ البشري. ولنا في ذلك العديد من الأدلّة:

١ـ ظروف ومكان مولده:

فلقد تمَّت ولادته في ظروف عجيبة في أرض غريبة ولم يكن له مكاناً وقت مولده بين البشر، فكان ميلاده في مذود للبقر في بيت الحيوانات في حظيرة الماشية "**... وقَمَّطَتـهُ وأضجَعَتـهُ في المذوَد، إذ لم يَكُنْ لهُما مَوْضِعٌ في المَنزِلِ**" (لو ٢ : ٧). ونجد التأكيد على ذلك في كلام الملاك مع الرعاة "**وهـذِهِ لكُـمُ العَلامَـةُ: تجِدونَ طِفـلاً مُـقَمَّطاً مُضجَعـاً في مِـذوَدٍ**" (لـو ٢ : ١٢)، ولقد تمَّت ولادته في طقس شديد السوء حيث برودة الشتاء القارص.

وكان هذا الأمر بمثابة علامة فريدة لأنه لم يحدث في كل التاريخ البشري مثل هذا الأمر، لأنه لم يولَد من هو أفقر من يسوع الطفل والذي وُلِد في ظروف صعبة للغاية.

ويلخِّص القديس كيرلس السكندري هذا الأمر في قوله: "كان إنساناً نزل إلى مستوى البهائم ووضع كطعام في مذود ليرفع حياتنا البهيمية".

٢ـ تقدمة العذراء مريم:

ومما يؤكد فقر السيدة العذراء مريم وبالتالي فقر طفلها الفريد يسوع المسيح ما ذكره لنا معلمنا لوقا البشير عن الذبيحة التي قدَّمتها العذراء مريم في قوله: **"ولكَيْ يُقَدِّموا ذَبيحَةً كما قيلَ في ناموسِ الرَّبِّ: زَوْجَ يَمامٍ أو فرخَي حَمامٍ"** (لو ٢ : ٢٤)، وبالرجوع إلى سفر اللاويين نجد أن هذه التقدمة تخصّ الفقراء فقط حيث نقرأ: **"ومَتَى كمُلَتْ أيّامُ تطهيرِها لأجلِ ابنٍ أو ابنةٍ، تأتي بخَروفٍ حوليٍّ مُحرَقَةً، وفَرخِ حَمامَةٍ أو يَمامَةٍ ذَبيحَةَ خَطيَّةٍ إلى بابِ خَيمَةِ الاجتِماعِ، إلى الكاهِنِ، فيُقَدِّمُهُما أمامَ الرَّبِّ ويُكَفِّرُ عنها، فتطهُرُ من يَنبوعِ دَمِها. هذه شَريعَةُ التي تلِدُ ذَكَراً أو أُنثَى. وإنْ لم تنَلْ يَدُها كِفايَةً لشاةٍ تأخُذُ يَمامَتَينِ أو فرخَيْ حَمامٍ، الواحِدَ مُحرَقَةً، والآخَرَ ذَبيحَةَ خَطيَّةٍ، فيُكَفِّرُ عنها الكاهِنُ فتطهُرُ"** (لا ١٢ : ٦ ـ ٨).

٣ـ عمله في صغره كصبي نجّار:

مما يؤكد أيضاً هذا الفقر هو عمله في الصغر في مساعدة يوسف خطيب أمه في أعمال النجارة.

لقد كان السيد المسيح فريداً في مستوى فقره والذي فاق الكل في فقره، فلقد وُلِدَ شديد الفقر ولم يمنعه ذلك من أن يكون قدوةً لكل أحد.

فليفتخر كل فقير أنه شبيه بيسوع الطفل الفقير.

ثامناً: طفل فريد في تعرُّضه للخطر منذ مولده:

لقد عانى السيد المسيح في طفولته المبكّرة كثيراً، فلم تكن معاناته فقط على الصليب، فلقد بدأ في حمل الصليب بصورة رمزية من خلال معاناته من الاضطهاد المبكّر. فلقد اضطهده الملك هيرودس في طفولته ظلماً لمجرّد أنه سمع عبارة **"أين هو المولودُ مَلِكُ اليَهودِ؟"** (مت ٢ : ٢).

وهنا يخبر الملاك يوسف النجار عن نية الملك فيقول له في الحلم **"... لأنَّ هيرودُسَ مُزمِعٌ أنْ يَطلُبَ الصَّبيَّ ليُهلِكَهُ"** (مت ٢ : ١٣). ونجد رد فعل الملك عنيفاً

جداً عندما خدعه المجوس ولم يخبروه بمكان ميلاد يسوع، والذي ادعى كذباً أنه يريد أن يسجد له "... **ومَتَى وجَدتُموهُ فأخبروني، لكَيْ آتيَ أنا أيضاً وأسجُدَ لهُ**" (مت ٢ : ٨). ويذكر لنا معلمنا متى البشير رد فعل الملك في قوله: "**غَضِبَ جِدّاً. فأرسَلَ وقَتَلَ جميعَ الصِّبيانِ الذين في بَيت لحمٍ وفي كُلِّ تُخومِها، منِ ابنِ سَنَتَينِ فما دونُ، بحَسَبِ الزَّمانِ الذي تحَقَّقَهُ مِن الم** (مت ٢ : ١٦ ـ ١٧).

ولم تكن معاناة السيد المسيح وتعرُّضه للمخاطر فقط من جرّء موقف هيرودس، بل في أمر هروبه لمصر وعودته من مصر... أمر في منتهى الصعوبة لعدّة أسباب:

١) عمره وقت السفر، فلقد سافر في طفولته المبكرة.

٢) المسافة التي سافرها، فلقد كانت مسافة طويلة جداً ... هى مسافة بين دول وليس مدن.

٣) وسيلة السفر، فبالطبع لم يكن متاحاً بسبب زمان السفر وبسبب الفقر الشديد إلاّ استخدام الدواب ... وليتنا نتخيل معاً تلك المعاناة، فكيف للعائلة المقدسة أن تقطع آلافاً من الكيلومترت وسط الصحاري والجبال في حر النهار وبرد الليل مستخدمة في ذلك فقط الدواب.

٤) مدّة السفر، ووفقاً للمسافة ولوسيلة السفر نستنتج أن مدة السفر تستغرق العديد من الشهور ... ومن هنا ندرك حجم المعاناة.

٥) زد السفر، فكيف لهذه الأسرة الفقيرة أن تقطع كل هذه المسافات دون مال، وبالتالي دون إمكانية شرء غذاء أو كساء، بل وكيف كانوا يحصلون على الماء وسط الصحاري المتسعة.

٦) مخاطر السفر، فالمرور في الأدغال يمثل خطورة شديدة ... فإن لم تكن من قاطعي الطرق، فعلى الأقل من الوحوش.

وهنا أسأل: هل تعرّض أي طفل لما تعرّض له الطفل يسوع؟

بالتأكيد ونحن نحلّل أسباب المعاناة لا يمكننا أن ننكر عمل النعمة وقدرته الإلهية وإن كان وجودها لا يمنع وجود معاناة. ومما يؤكد ذلك عندما ننظر إلى الصليب نجد أن قدرته الإلهية لم تمنع معاناة وآلام الصلب عنه. أننا أمام طفل فريد في كل شيء.

فليتعزى كل طفل يعيش ظروفاً صعبة، فلقد عاش الطفل يسوع أصعب منها، فأنت شريكه في المعاناة. فأحرص أن تكون شريكه في مجد السماء.

تاسعاً: طفل فريد في نبوغه وحكمته:

ليتنا نعود لإنجيل معلّمنا لوقا البشير ونقرأ معاً: "**وكانَ الصَّبيُّ يَنمو ويتقَوَّى بالرّوحِ، مُمتَلِئاً حِكمَةً، وكانَتْ نِعمَةُ اللَّه عليه**" (لو ٢ : ٤٠)، "**وبَعدَ ثلاثةِ أيّام وجَداهُ في الهيكلِ، جالِساً في وسطِ المُعَلِّمينَ، يَسمَعُهُمْ ويَسأَلُهُمْ. وكُلُّ الذين سمِعوهُ بُهِتوا مِنْ فهمِهِ وأجوِبتِهِ**" (لو ٢ : ٤٦ ـ ٤٧)، "**وأمّا يَسوعُ فكانَ يتقَدَّمُ في الحِكمَةِ والقامَةِ والنِّعمَةِ، عند اللَّه والناسِ**" (لو ٢ : ٥٢). نستخلص منها النبوغ المبكّر والحكمة الفريدة للطفل الفريد يسوع المسيح. فلقد شَهِد الكتاب له بالحكمة منذ صغره "**وكانَ الصَّبيُّ يَنمو ويتقَوَّى بالرّوحِ، مُمتَلِئاً حِكمَةً، وكانتْ نِعمَةُ اللَّه عليه**" (لو ٢ : ٤٠).

ومن خلال النصوص السابقة يمكننا أن نستخلص العديد من مظاهر حكمته:

١ـ حكيم في جلوسه بين الحكماء والمعلمين منذ صغره:

فيذكر معلمنا لوقا عن العذراء مريم أنه بعد معاناتها في البحث عن الطفل يسوع كانت المفاجأة أنها هى ويوسف النجار " ... **وجَداهُ في الهيكلِ، جالِساً في وسطِ المُعَلِّمينَ ..**" (لو ٢ : ٤٦). لقد بحثا عنه بين الرفقة ووسط الأقارب ولم يدركا النبوغ المبكّر والحكمة النادرة التي يتحلّى بها.

ولعلنا نلاحظ هنا عدّة ملاحظات:

+ أنهم وجداه بعد ثلاثة أيام "**وبعد ثلاثةِ أيّامٍ وجَداهُ ..**" (**لو ٢ : ٤٦**). ولنا أن نتخيل كيف لصبي صغير في سن ١٢سنة يبتعد عن أسرته ثلاثة أيام؟ كيف كان يعيش حياته الطبيعية من مأكل ومشرب وهو صبي فقير؟

+ وبعد ثلاثة أيام وجداه "جالساً" أي مستقرّاً.

+ وجداه وسط المعلّمين، أي أنه كان جالساً كواحد منهم على قدم المساواة.

٢ـ حكيم في تركيزه وإنصاته: "يسمعهم".

٣ـ حكيم في أسئلته واستفساراته: "وسألهم"، فلم يكن مجرّد مستمع بل يدخل إلى عمق المعرفة، إلى عمق التفاصيل... لذا كان يسألهم.

٤ـ حكيم في درجة فهمه: "والذين سمعوه بهتوا من فهمه".

٥ ـ حكيم في إجابته على أسئلتهم، لذا نقرأ "بهتوا من أسئلته وأجوبته"، ففي البداية كان يسأل، ولكننا نجدهم قد بهتوا من أجوبته وكأن المعلمين قد تحولوا إلى تلاميذ بالنسبة له يستفسرون منه ويسألونه فيما لا يعرفونه، ومن هنا كان انبهارهم.

٦ـ حكيم في رده على أمه العذراء مريم، فعندما قالت له: "**هوذا أبوكَ وأنا كُنّا نَطلُبُكَ مُعَذَّبَين! فقال لهما: لماذا كُنتُما تطلُبانِني؟ ألَمْ تعلَما أنَّهُ يَنبَغي أن أكون في ما لأبي؟**" (**لو ٢ : ٤٩**).

وكأنه يذكّر العذراء مريم بكلام الملاك: "**القدُّوس المولود منكِ يُدعى ابن اللَّه**"، ويذكّرها بكلام أليصابات: "**من أين لي هذا أن تأتي أُمُّ ربي إليَّ؟**"، وكأنه بكلامه يذكّر يوسف النجار بكلام الملاك له: "**الذي حُبِل به فيها هو من الرُّوح القدُس**".

وكأنه بحكمه وبلباقة ولكن في بنوّة يود أن يقول لهما: ينبغي أن تتوقعا مني أن أتصرّف كابن للَّه، فلا يجب أن تتعبوا في البحث عني بين الرفقة والأقارب، ولكن كان عليكما أن تعودا إلى الهيكل حيث ينبغي أن أكون فيما لأبي. فلا بديل عن الوجود معكما إلا الوجود في الهيكل، فكان من الواجب أن يكون سعيكما

مباشرة إلى الهيكل. وكان عليكما ألاّ تتعذبا كما لو كنت كباقي الأطفال قد ضللت الطريق أو ابتعدت عنكما بسبب اللهو أو اللعب.

وكأن الصبي يسوع أرد أن يقول كل هذا ولكن من خلال عبارة قصيرة حتى وإن لم يفهما معناها للتو فسيدركان الحقيقة ولو بعد حين.

عاشراً: طفل فريد في اتضاعه وخضوعه:

فيذكر لنا لوقا البشير: **"ثم نَزلَ معهما وجاء إلى النّاصرة وكانَ خاضعا لهما" (لو ٢ : ٥١).**

ـ ففي بنوّة فريدة وبالرغم من أنه ينبغي أن يكون فيما لأبيه، إلا أنه لا بد أن يكون أيضاً مع أمه العذراء مريم، فلا يجب أن يشغلها عليه في مثل هذا السن.

ـ وفي احترم للأكبر نجد العبارت: **"نَزلَ معهما"، "خاضعا لهما"**، فكان خضوعه للعذراء مريم ويوسف النجار أيضاً فهو في مكانة والده، وهو في ذلك السن الذي يحتاج إليه في شيخوخته، وهو ذاك الذي ضحى بالكثير حتى يكون سنداً له ولأمه العذراء.

فالبنوّة ليست فقط للأب الفعلي ولا الأم الفعلية، فالسلوك في بنوّة واحترم وخضوع ينبغي أن تكون لكل مَن هو في مكانة الأب والأم سواء من جهة القربة أو السن أو المكانة.

إننا أمام طفل فريد نقدّمه نموذج ومثال لكل طفل لكي يحتذي به، نقدّمه للفقير كمن هو أكثر فقراً منه، نقدّمه لكل من يعاني لأنه قد عانى أكثر من الجميع. نقدّمه لكل تلميذ كتلميذ نجيب، نقدمه لكل ابن كنموذج لخضوع الأبناء لوالديهم وخدامهم ومعلميهم وأقاربهم.

الفصل الثاني

السيد المسيح والطفل

لقد تعلّمنا الكثير من السيد المسيح في معاملاته مع الآخرين، فأخذنا دروساً نافعة في الاقتداء به في معاملاته مع الخطاة ومعاملاته مع المسيئين إليه. وأيضاً تعلَّمنا نحن كقيادات من أسلوبه في إعداد القادة من خلال إعداده للتلاميذ.

وهنا نطرح درساً عملياً لكل أب وأم، لكل خادم من خدام التربية الكنسية، لكل كاهن في كنيسته، ولكل مدرّس في مدرسته، بل ولكل من يتعامل مع الأطفال ... نقدّم لكل هؤلاء السيد المسيح القدوة في كيفية معاملة الأطفال، ومرجعنا هنا هو لقاء وحيد للسيد المسيح ذكره معلمنا مرقس الرسول في الأصحاح العاشر من إنجيله حين قال: "**وقَدَّمُوا إليه أولاَداً لكي يلمِسَهُمْ. وأمَّا التَّلاميذ فَانتَهَرُوا الذين قَدَّمُوهُم. فلمَّا رأى يسُوعُ ذلك اغتاظ وقال لهم: دَعُوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تَمنَعُوهُمْ لأنَّ لمِثلِ هؤلاء مَلَكُوتَ اللَّه. الحَقَّ أقُول لكُمْ: مَن لا يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللَّه مِثلَ ولدٍ فَلَن يَدخُلَهُ فَاحتَضَنَهُمْ ووضَعَ يَديه عليهِم وبارَكَهُمْ**" (مر ١٠ : ١٣ ـ ١٦).

وعلينا ملاحظة أن بداية الأصحاح العاشر تشير إلى لقاء الجموع مع السيد المسيح في عَبر الأردن، وكان حديث السيد المسيح موجّهاً للكبار في أمور تخصّ الكبار من خلال إجابته على بعض الفريسيين فيما يخص (الطلاق) "**فتقدَّم الفرِّيسيـ ... َحِلٌّ للرجل أن يُطَلّق امرأتـ ـه؟ ليجَرِّبوه**" (مر ١٠ : ٢).

وبعد انتهاء حديث السيد المسيح مع الكبار في رده على الفريسيين نقر: "**وقَدموا إليه أولاَدا لكي يلمسهمْ** (مر ١٠ : ١٣). ربما بعد أن تمتع الكبار ببركات كثيرة أردوا أن ينال أبناؤهم بعضاً من هذه البركة، فتقدَّموا بأبنائهم للسيد المسيح فقط لنوال بركته بمجرَّد لمسه لهم.

فبالنظر إلى طلب الجموع نجد أنه:

- طلب بسيط سهل التنفيذ حيث طلبوا مجرَّد لمس السيد المسيح لأطفالهم.
- طلب منطقي حيث أن الأطفال لم يستفيدوا من كلام الرب مع الكبار ولا بد من أخذ نصيبهم.
- طلب روحي حيث يطلبون البركة لأطفالهم.

ولكننا نجد لتلاميذ السيد المسيح ري آخَر، بل كان لتلاميذه موقف صادم، فنقر "**... وأما التَّلاميذ فَانتَهروا الذين قَدموهم**" (مر ١٠ : ١٣). وهنا نتساءل:

لماذا تصرَّف التلاميذ هذا التصرُّف الذي يبدو غريباً بعض الشيء؟

ولماذا يسلك الكثيرون نفس المسلك تجاه الأطفال في مواقف عديدة؟

وهنا أُجيب مُحلّلاً الأمر وليس مدافعاً ...

١) ربما فكّر التلاميذ في إرحة السيد المسيح ولم يفكروا في احتياج الأطفال، ربما فكّروا في رحته بعد يوم طويل من الخدمة والتعليم.

٢) ربما يقيسون الأمور بمقاييس بشرية ترتبط بالطول والسن والمؤهل والوضع المالي والاجتماعي.

٣) ربما روا في الأطفال أنهم أصغر من أن يتعاملوا مع السيد المسيح.

٤) ربما يرون أن الأطفال بطبيعتهم مزعجين فأردوا أن يجنبوا السيد المسيح إزعاجهم ... إنها صورة متكرّرة في بيوتنا وربما في كنائسنا:

فقد نتذكّر مثل هذه المواقف في كثير من الأحيان في بيوتنا، فنجد الأهل يتخلّصون من إزعاج أطفالهم عند زيارة الأب الكاهن للمنزل أو حتى في وجود أي ضيف، فيضعونهم في حجرة مع ألعابهم أو يطلقونهم في حديقة المنزل أو الشارع تجنُّباً لإزعاجهم ومضايقتهم للضيف.

ونجد نفس الموقف بصورة أخرى في عدم إحضار الأسرة لأطفالهم إلى الكنيسة وحرمانهم من القداس الإلهي حتى يجنّبوا الأب الكاهن والمصلين إزعاجهم بالحركة والصوت.

وفي هذا الصدد أيضاً نجد المواقف المتشدّدة من بعض الآباء الكهنة والشمامسة أو الخدّام في انتهار الأطفال في الكنيسة بسبب تحركاتهم أثناء القداس في الكنيسة، بل وقد يصل الأمر من الأب الكاهن إلى توبيخ الكبار بسبب تصرُّف أطفالهم.

الهدف هنا الهدوء في الصلاة بغضّ النظر عن طبيعة الطفل ومشاعره، فالهدف هو صلاة هادئة حتى ولو تمّ حرمان الأطفال من الحضور وما قد يترتب عليه من حرمان أحد والديهم من الحضور لمرفقة الطفل في البيت.

وهنا أتذكّر قصة حدثت في سيدني في أوائل فبرير ٢٠١٤ حيث سألت طفل ابن الأربع سنوات عن اسم الأب الكاهن بالكنيسة، فقال لي (أبونا ميصائيل). والأمر العجيب أن أبونا ميصائيل الأنطوني كان يخدم بكنيسة هذا الطفل ولكنه انتقل إلى السماء قبل ذلك بعام كامل، فالطفل يتذكّر اسم الكاهن الذي انتقل إلى السماء منذ عام ولا يتذكّر اسم الكاهن الذي يخدمه لمدة سنة. وهنا السؤال: لماذا؟ السبب ببساطة هو أن أبونا ميصائيل الأنطوني نيح للَّه نفسه كان مُحبّاً للأطفال، والكنيسة التي كان يخدم بها لديها الكثير من الأطفال لأنها كانت في منطقة ناشئة أغلب سكانها من الأقباط حديثي الزواج. وكان أبونا ميصائيل يحتمل الأطفال في حركتهم وفي صوتهم وكان هو المدافع عنهم، وكانت أحضانه تتسع لكل الأطفال. لذا أحبه كل الأطفال ... نيح للَّه نفس أبونا ميصائيل الأنطوني.

ربما يستسهل الكاهن والخدام الأمر بانتهار الأطفال أو والديهم، وربما يستسهل الوالدين الأمر بحرمان أبنائهم من الحضور ... إنما الأفضل ليس الأسهل دائماً.

فعلينا التفكير في حلول عملية، والأمثلة كثيرة نذكر منها:

١ـ قداس خاص للأطفال في مكان خاص.

٢ـ وجود قاعة بالكنيسة (Crying room or glass room) بها شاشة كبيرة للمتابعة على أن يدخلها الكاهن وقت البخور، ويفضَّل أن تكون هذه القاعة بواجهة زجاجية تفصلها عن صحن الكنيسة.

وقد توجد حلولاً أخرى إذا فكرنا قليلاً مع الأخذ في الاعتبار حتمية مشاركة الطفل في القداس.

ولكن يبقى أمامنا سؤال هام (لماذا كان انتهار التلاميذ لمن قدَّموا الأطفال؟) **"وأمّا التلاميذُ فانتَهروا الذينَ قَدموهُمْ"** (مر ١٠ : ١٣).

وهنا في التماس للعذر نقول:

ـ ربما كان ذلك نتيجة إلحاح أو إصرر منهم على لقاء السيد المسيح.

ـ ربما بسبب إزعاج الأطفال لكثرتهم.

ـ ربما طال شرح التلاميذ لمبررات رفضهم ولكن ليس مِن مجيب، فاضطروا لانتهارهم.

وهنا علينا أن نتعلَّم من السيد المسيح أنه لا مبرّر للانتهار ولا مبرّر لجرح مشاعر الناس، بل علينا أن نتجمَّل بطول الأناة وعلينا أن نتحلّى بالمنطق في الرد والإقناع وربما علينا إعادة النظر في موقفنا. فربما نرى أننا لم نكن على صواب، فلا بد أن نعيد حساباتنا ومراجعة أنفسنا أمام إصرار الآخَرين فربما يشوب موقفنا نوع من الخطأ.

رؤية السيد المسيح للأطفال:

ربما نحتاج قبل أن نسلّط الضوء على ردود أفعال السيد المسيح أن نفكر في وجهة نظره من نحو الطفل، ولنا أن نستنتج نظرته للطفل كالآتي:

١) يرى السيد المسيح في الطفل صورة اللَّه ومثاله حيث خلقه اللَّه منذ البدء، فصغر سنه لا يقلل ولا يشوّه من هذه الصورة.

٢) يرى أن الطفل عطية إلهية وبركة سماوية من اللَّه لوالديه " **البنونَ ميراثٌ من عند الربِّ** " (مز ١٢٧ : ٣) ولعلنا نتذكّر صلوات الأب الكاهن في هذا الشأن في طقس الإكليل حيث يقول: "هَب لهما ثمرة محيية من البطن ليبتهجا بولادة البنين الحسنة". (من الصلاة الأولى)

"أكثرهما مثل ألقانه وحنه اللذين باركتهما وأنعمت عليهما بصموئيل النبي الأمين". (من الصلاة الثانية)

٣) يرى السيد المسيح الطفل كائناً كاملاً يستحق كل احترم، فلا ينبغي أن تتوقّف درجة احترم الإنسان على سِنه أو جنسه أو مركزه.

٤) يرى السيد المسيح أن الطفل أكثر احتياجاً من الكبار، وبالتالي فهو أولى بالاهتمام، حيث أهمية الاهتمام به في هذه السن، حيث مرحلة وضع الأساس الإيماني والروحي والمعرفي. وكُلّما بدأنا في وضع هذا الأساس في سن مبكّر كلما كانت المفاهيم الروحية والإيمانية بالإضافة للمعرفة أكثر ثباتاً وأكثر عمقاً وأكثر تأثيراً على مستقبله.

٥) والأكثر من هذا أن السيد المسيح يرى الطفل أكثر استحقاقاً من الكل بسبب نقاوته، لذا علَّم التلاميذ وعلَّمنا قائلاً: **"لِمِثلِ هؤُلاءِ ملكوتَ اللَّه"** (مر ١٠ : ١٤)، **"مَنْ لا يَقبَلُ ملكوتَ اللَّه مِثلَ ولدٍ (طفل) فلن يَدخُلهُ "** (مر ١٠ : ١٥).

وفي هذا يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: "هذه هى الحكمة الحقيقية: أن تكون بسيطاً لفهم هذه الحياة الملائكية، نعم لأن نفس الطفل نقية من الشهوات".

ردود فِعل السيد المسيح:

كانت ردود فِعل السيد المسيح داخلية وأخرى معلنة، كانت بالفكر وبالقول وبالفِعل، كان فيها ما يخصّ التلاميذ والآخر يخص الأطفال. فكانت كالتالي:

١ـ رد فِعل داخلي يخصّ التلاميذ:

حيث نقر عبارة يندر أن نقرها عن السيد المسيح: **"فلما رأى يسوعُ ذلك اغتاظَ"**.

وكان غيظه لعدة أسباب:

ـ لجهل التلاميذ لطبيعة الأطفال واحتياجاتهم.

ـ لجرحهم مشاعر الكبار الذين قدّموا الأطفال حيث (انتهروهم).

ـ جرحهم لمشاعر الأطفال ← من خلال منعهم.

← من خلال انتهار والديهم.

ـ حرمان الأطفال من بركة السيد المسيح.

ـ لترسيخهم لمفاهيم خاطئة في الرعاية تحتاج إلى موقف وتحتاج إلى تصحيح.

وهنا علينا أن نلاحظ نقطة في غاية الأهمية وهى أن جرح مشاعر الأطفال لا يتوقّف على جرح مشاعرهم بصورة مباشرة سواء بالكلام أو بالتصرُّف أو بمجرَّد ملامح الوجه أو النظرة إنما الأمر يتعلّق أيضاً بجرح مشاعر أحد والديهم أمامهم.

فمثلاً إذا أهان الأب زوجته وهى حاملة لطفلها بين ذرعيها نجد أن دموع الطفل تسبق دموع أمه، وأن صوت صرخ الطفل يعلو على صوت توبيخ أو انتهار أ يه لأ ه.

وهنا أرجو أن يرعي الآباء الكهنة والخدام هذا الأمر، فلا تنتهر كبيراً في وجود صغيره معه، لئلا تجرح مشاعر الكبير والصغير معاً.

وهنا علينا أن نتعلّم من السيد المسيح كيف يترفَّق بالطفل، وكيف يترفَّق بالخدام (التلاميذ) أيضاً، فنجده لم يوبِّخ التلاميذ أو يؤنبهم، ولم يجاهر بمشاعر الغيظ الداخلية ... وربما يرجع هذا لعدة أسباب:

١) الترفُّق بهم.
٢) التماساً للعذر بالنسبة لهم، فربما نظر إلى دوافعهم ومحبتهم له واهتمامهم به دون التركيز على الخطأ الذي وقعوا فيه.
٣) وربما لوجود الجموع، فلا ينبغي على القائد أو الرعي أن يجرح مشاعر الخدام أمام المخدومين فيفقدهم مكانتهم ويضعف من تأثيرهم الروحي عليهم.

٢ـ رد فِعل بالتعليم وهو خاص بالتلاميذ:

لقد تعلّمنا أن نمحو الإثم بالتعليم، وهذا ما نتعلّمه من السيد المسيح في هذا الموقف، فنجد السيد المسيح يتجنّب تأنيب أو توبيخ التلاميذ، بل يتجنّب تماماً الحديث عن موقفهم السلبي، بل يتخطّاه بالحديث إيجابياً فيطالبهم بألاّ يمنعوا الأطفال عنه (لا تمنعوهم) ويقنعهم في ذلك بقوله: "**لأن لمثلِ هؤلاءِ ملكوت اللهِ. الحَق أقولُ لكُمْ: منْ لا يقبلُ ملكوتَ الله مثل ولدٍ فلن يدخلهُ**" (مر ١٠ : ١٤ ـ ١٥).

وكأنه يريد أن يقول للتلاميذ أن الأطفال هم الأكثر احتياجاً والأكثر استحقاقاً.

لا تمنعوهم
- هم الأكثر استحقاقاً للملكوت.
- هم الأكثر نقاوة.
- هم كل المستقبل.
- لأن الاهتمام بهم يقلل إزعاجهم للآخرين.
- لأن الطفل إن لم تنشغل به بإردتك، سيشغلك به على غير إردتك.

فالطفل بالذكاء الكافي القادر أن يشغلنا به وأن يحوّل اهتمامنا به على غير إرادتنا إن لم يكن وفقاً لإرادتنا، وله في ذلك أساليبه الخاصة والتي منها:

- كثرة الحركة والصوت المرتفع لأجل لفت الانتباه.
- كثرة الأسئلة على غير طبيعته.
- طلبات غريبة وعديدة في غير وقتها.
- وإذا لم يشدنا كل هذا يبدأ بإحراجنا من خلال الإساءة للضيف الذي شغلنا عنه من خلال أقوال أو تصرفات غير لائقة مما يسبب لنا شديد الحرج.

وإذا لم يكن لدينا ضيف فيبحث عن سبب انشغالنا عنه ويتصرّف تصرفات غريبة كأن يلقي بأوراقك على الأرض، أو يخطف القلم الذي في يديك، أو يلعب في مفتاح البوتاجاز لغلقه حتى أتفرّغ له ... وهكذا العديد من التصرُّفات.

فنصيحتي ... انشغلوا بالطفل بإرادتكم قبل أن يشغلكم به على غير إرادتكم ولو بطريقة مزعجة.

وهنا أنصح أولياء الأمور في كيفية التعامل مع الطفل أثناء وجود ضيف فأقول:

- عليك أن تنقل اهتمامك به إلى الاهتمام بالضيف بصورة متدرّجة.

فعلى سبيل المثال إذا كنت
- تتكلّم معه.
- تذاكر معه.
- تلعب معه.
- تأكل معه.

فلا تتوقف بصورة مفاجئة غير متدرّجة حتى تتفرّغ لضيفك ولكن بعد استقبال سريع للضيف استأذن لتستكمل مع طفلك ما كنت تشاركه فيه على أن تنسحب بالتدريج.

- إن أمكن اجلسه على رجلك وفي حضنك وأنت تتحدّث مع الآخَر ولو لبعض الوقت، وأرجو أن تطمئن فهو لن يستمر كثيراً على هذا الوضع كعادة الطفل في كثرة الحركة.
- الاهتمام به بين الحين والآخَر أثناء اهتمامك بالضيف سواء بنظرة أو بكلمة أو بحركة أو بوضع يدك على رسه أو كتفه أو ظهره.
- عليك أن تتحدّث عنه إيجابياً في وجوده معك أمام الضيف وهذا الأمر يسرّه جداً.

وفيما يخص الضيف أقول له:

- لا تقتحم مجال الطفل قبل أن يقتحم مجالك هو ويقترب منك.
- حاول أن تنظر له بابتسامة عن بُعد وبإشارة حتى يقترب منك.

ثق أن الطفل يرقبك ... يرقب ملامحك إن كانت مريحة أم مزعجة ويستمع إلى نبرت صوتك، فهو يتجاوب مع الملامح الهادئة المبتسمة ويقترب من صاحب الصوت الهادئ أكثر من المرتفع.

وإذا اقترب منك لا تبدأ بملامسته بل بالكلام أولاً، وفي كلامك لا تبدأ بأسئلة بل بالمديح لملابسه، شعره، شكله، لعبته ... إلى أن يقترب منك أكثر، عندئذٍ المس شعر رسه قبل وجهه إلى أن يتدرّج معك في التجاوب، عندئذٍ ستنال شرف صداقته وربما يفضّلك عن مَن هم في البيت وينشغل بك عن والديه.

علينا احترم الطفل رغم سنه:

علينا احترم الطفل رغم خصائصه سواء المرتبطة بسنه أو المرتبطة بطبيعته، علينا احترم ملكيته فلا نقترب منها إلا بعد سماحه، فلا تلمس لعبته إلا إذا قدَّمها لك لتشاركه فيها.

٣ـ ردّ فِعل عملي يخصّ الأطفال:

نقر عن موقف السيد المسيح مع الأطفال عبارة "**فاحتضنهم**"، فالأهل طلبوا من السيد المسيح أن يلمس الأطفال لأجل البركة "**وقدموا إليه أولادا لكَيْ**

يَلمِسَهُمْ" (مر ١٠ : ١٣). فكان أقصى ما يتمنونه هو أن يلمسهم ... أما السيد المسيح ووفقاً لرؤيته وبُعد نظره ومعرفته لطبيعة الأطفال نجده يحتضنهم قبل أن يضع يديه عليهم ليباركهم.

وهنا يُبرز لنا السيد المسيح أهمية العاطفة والحب لدى الطفل وأهمية الدخول إلى قلب الطفل أولاً بالحب.

وهنا أنصح كل أب كاهن وكل ضيف ... قبل أن تقترب من الطفل وقبل أن تطلب منه شيئاً، تصرّف معه بما يدخلك إلى قلبه، ولهذا السبب بدأ السيد المسيح أولاً باحتضان الأطفال ليُعَبِّر لهم عن حبه.

فما أجمل منظر الأب الكاهن في الكنيسة الذي عندما يرى طفلاً صغيراً (وأكرر وأقول صغيراً) مقبلاً عليه أن يفتح له ذراعيه ليحتضنه فسيكون رد فِعل الطفل كالتالي:

١. ابتسامة عريضة.
٢. ذراعين مفتوحتين.
٣. خطوات سريعة للارتماء في أحضان الأب الكاهن.

وهنا علينا أن ندرك أهمية العاطفة والحب عند الطفل.

فالطفل يرتبط جداً بمن يظهر له حباً أكثر من الآخرين.

- فأنه يحب الأم ويرتمي في حضنها أكثر من الأب.
- يرتبط بمدرّس ويحب مادته دون الآخَر.
- يحب جدّته لوالدته أكثر من جدّته لوالده.
- يرتبط بخادم مدارس الأحد دون الآخَر.

فقد يمكننا أن نحدّد المستقبل التعليمي للطفل مبكراً بسبب محبته لمدرس الرياضة مثلاً، وبالتالي حبه لمادة الرياضيات، وبالتالي التحاقه بكلية الهندسة.

وهنا أتذكّر شكوى أب جاء يشكو زوجته التي فصلت عنه ابنه الصغير ويستند في ذلك إلى قصة فيقول: "إنه في يوم عيد ميلاد ابنه الصغير أحضر له هدية قيمة كمفاجأة بمجرد عودته من العمل"، ويكمل القصة قائلاً: "فتركني دون أن يشكرني ودون أن يقبّلني، وذهب مندفعاً إلى المطبخ ليرتمي في أحضان أمه ويقول لها: بابا أحضر لي هذه الهدية". وهنا نسأل الأب: مَن هو السبب في ذلك؟ فالطفل يتصرّف بتلقائية فيرتمي في حضن مَن تعوّد أن يفتح له أحضانه.

وهنا أنصح كل مَن يتعامل مع الأطفال أن يرعي الآتي:

١) تعامل مع الطفل بالطريقة التي يتعامل بها هو مع مَن يحبه، فافتح أحضانك للطفل الذي يرتمي في الأحضان، العب في شعر مَن يلعب لك في شعرك، اقترب منه إذا اقترب منك، تكلّم معه فيما يحب أن يتكلّم معك فيه (ملابسه ـ لعبته ـ ...).

٢) انتبه، فالطفل لا يقترب من غريب قبل أن يرقبه عن بُعد ويفحصه، فينظر إلى ملامحه هل هى هادئة أم حادة؟ هل هو مبتسم أم متجهّم؟ كما أنه يرقب درجة صوته هل هى منخفضة أم مرتفعة؟ هل هو منشغل به عن بُعد أم أنه لا يهتم به ويتجاهله؟

عندئذٍ وبعد تحليل شخصية الضيف يقرر الطفل هل يتعامل معه أم لا، على أن يكون الطفل هو المبادر بالاقترب والكلام.

إن الطفل أذكى مما نتخيل، وإن كان لا يمكنه التعبير عن إمكانيات ذكائه في كل الأحوال.

٣) لذا أنصح ... لا تسأل الطفل في شيء مما يحفظ أو يعرف قبل أن يبادر هو بالحديث معك، ولكن عليك أن تبادر بالابتسامة وبالإشارة ثم بالمديح إلى أن يبادر هو بالحديث، وإذا بدأت حديثك معه ابدأ متدرّجاً من حديث الحب والمشاعر إلى حديث المديح لملابسه ولعبته، بمعنى أنه عليك أن تنزل إلى عالمه حتى ترفعه بالتدريج إلى عالمك.

الطفل والحواس:

نلاحظ دائماً تعلُّق الطفل بأي شيء يتميز بثلاثة أمور:

- ألوان زهية.
- أصوات متغيرة وغريبة.
- حركة هادئة.

لذا، ففي السن المبكّر يحب الطفل أي لعبة تجمع بين هذه الأشياء الثلاثة. لذا نره أيضاً يتعلَّق وبشدة بأفلام الكرتون. وفي أحيان كثيرة يتعلَّق بمفاتيح والده وخاصة إذا كانت كثيرة وملوّنة ولن يتركها إلا ببديل مشابه في الألوان والأصوات. والسبب ورء هذا أن هذه الأشياء تتعامل مع العديد من حواسه، لذا نرى الطفل في طفولته المبكّرة يرتبط كثيراً بالكنيسة القبطية ويحب الذهاب إليها لأنها تُغذي حواسه:

ففيها الألحان وصوت الدف والتريانتو	← بما يغذي حاسة السمع.
وفيها الأيقونات والصور الملوّنة	← لإشباع النظر.
وفيها رئحة البخور	← جاذباً لحاسة الشم.
وفيها القربان والتناول من الجسد والدم	← وهنا التعامل مع حاسة التذوق.
وفيها حركة الأب الكاهن وتحريكه للشورية	← لجذب انتباهه من خلال الحركة الغريبة التي لا يرها في المنزل.

لذا نجد الطفل يحب الذهاب للكنيسة في سن مبكّر وفي كثير من الأحيان يؤسس كنيسة صغيرة في بيته قوامها أدوات بسيطة يشكّل منها (دف ـ شورية ـ مذبح ...).

لذا أنصح خدام الطفولة بالاهتمام بلغة الجسد (BODY LANGUAGE) المكمّلة لأداء اللسان وذلك من خلال تغيير ملامح الوجه وحركة اليدين والجسم بل وأيضاً تغيير الأصوات، فيحكي الخادم القصة بصورة تمثيلية متقمّصاً شخصياتها بأصواتهم. كما أنصحهم بالإكثار من استخدام وسائل الإيضاح وخاصة الملونة والمتحرّكة.

الفصل الثالث

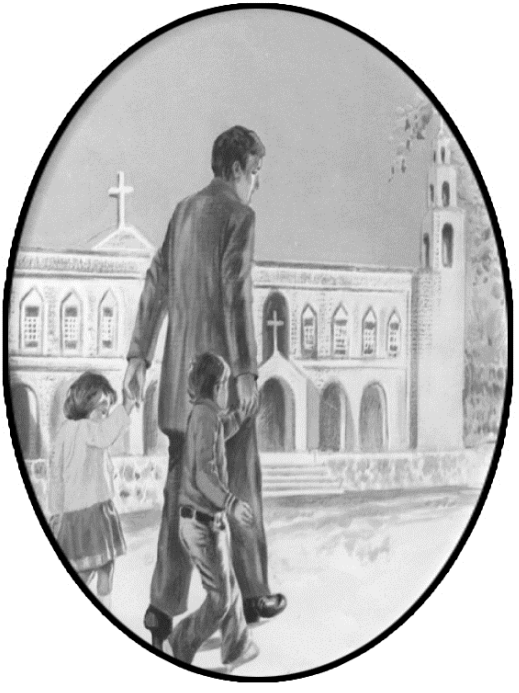

الكنيسة والطفل

تعوّدنا أن نُكَرِّم الأم لفضلها على أبنائها فهى التي حملتهم وأرضعتهم وربّتهم، وعلينا دائماً أن نذكر فضل أمنا الكنيسة.

فالكنيسة أم لكل المؤمنين:

ـ فمن أحشائها (بالمعمودية) نولد كأبناء للَّه.

ـ ومن خلالها (بمسحة الميرون) نعيش كآنية مقدَّسة للَّه.

ـ ومن خلالها (في سر الاعتراف) نعيش في نقاوة السيرة.

ـ وبها (من خلال التناول من الجسد والدم) نثبت في اللَّه وللَّه فينا.

ـ ومن خلالها نعيش جميعاً كجسد واحد رأسه المسيح (رو ١٢: ٤ ـ ٥).

وعلاقتنا بالكنيسة أمنا نبدأها على الأرض ولكنها تمتد حتى بعد انتقالنا للسماء حيث تهتم الكنيسة ـ ممثلة في الأب الكاهن ـ بأن تذكرنا في التراحيم والتماجيد بعد الانتقال للسماء ... فهى أمنا.

الكنيسة القبطية وعماد الطفل

تتميّز كنيستنا القبطية باهتمامها بمعمودية الطفل وتناوله من الأسرار المقدسة فور عماده على خلاف الكثير من الكنائس الأخرى والتي منها من لا يسمح بعماد الأطفال إلا بعد الكِبر، ومنها مَن يسمح بعماد الطفل، ولكنها تؤجل تناوله من الأسرار.

ولكننا قد نقف أمام تساؤلات عديدة تحتاج لإجابة:

لماذا يتم تعميد الطفل في سن لا يدرك فيه بركات المعمودية؟ ولا يمارس فيه التوبة السابقة للمعمودية كتعليم الكتاب المقدس: "**توبوا وليَعتَمِدْ كُلُّ واحدٍ مِنكُمْ ...**" (أع ٢ : ٣٨).

وقد يتساءل البعض: أليس من الممكن أن يتراجع الإنسان عن الإيمان في سن النضوج؟ فلماذا لا تؤجل المعمودية حتى يصل إلى سن إدراك ما يؤمن به؟ فكيف يتم عماده عن غير معرفة وعن غير وعي وعن غير إدراك؟ مع أن الكتاب المقدس يقول: "**مَنْ آمَنَ واعتَمَدَ خَلَصَ ..**" (مر١٦ : ١٦).

بالنظر إلى تلك التساؤلات العديدة نجد أنها منطقية في ظاهرها ولكن بالتعمق في الدراسة نقف أمام حتمية معمودية الطفل. وإليك يا عزيزي مبررات الكنيسة العديدة في ذلك:

١) لا توجد آية واحدة أو موقف واحد في الكتاب المقدس يشير إلى عدم معمودية الطفل.

٢) نعمّده في طفولته حرصاً منا على خلاصه، فقد لا يصل إلى سن الإدراك لأنه لا خلاص دون المعمودية: "**إنْ كانَ أحَدٌ لا يولَدُ مِنَ الماءِ والرّوحِ لا يَقدِرُ أنْ يَدخُلَ ملكوتَ اللَّه**" (يو٣ : ٥). لذا كان لزاماً على كنيستنا الممتلئة حنواً على أولادها أن تعمّدهم في طفولتهم لأن اللَّه: "**يُريدُ أنَّ جميعَ الناسِ يَخلُصونَ، وإلى مَعرِفَةِ الحَقِّ يُقبِلونَ**" (١تي ٢: ٤). لذا وجبت المعمودية في سن الطفولة حتى لا يُحرَم أحد من الخلاص المتاح له بالمعمودية.

٣) بالمعمودية نعطي للطفل إمكانية ممارسة الأسرر المقدسة منذ نعومة أظافره. فنعطي فرصة لعمل النعمة في حياته منذ الصِغر. ولنا أن نتخيل طبيباً يرفض تحصين طفل من شلل الأطفال قائلاً لن أحصنه قبل أن يدرك قيمة وفاعلية التحصين، مِثل هذا الطبيب يدفع آلاف الأطفال إلى الإصابة بمرض شلل الأطفال. وعلى نفس المنوال فالكنيسة التي لا تُعمّد أطفالها وتحصنهم روحياً بالأسرر المقدسة في سن صغير، فكأنها تدفعهم للتلوث بأفكار العالم مبكراً دون الثبات في المسيح الذي يحفظهم من الشر الموجود بالعالم الذي يحيون فيه " ... **فمَنْ يأكُلني فهو يحيا بي**" (يو٦ : ٥٧).

٤) بالمعمودية المبكرة نعطي الفرصة لانتظام الطفل منذ صغره في الكنيسة، فتصبح الكنيسة بكل ما فيها من ألحان وطقوس وعبادات وأسرار جزءً من حياته تنمو في داخله مع نمو السن وبها ينمو في النعمة والقامة معاً وهذا ما لا يحدث في المعمودية عند الكِبر. فقد نرى أشخاصاً كثيرين يحضرون في نهاية القداس ولا ينتظمون في العبادات، وأثناء وجودهم بالكنيسة ينشغلون بالنظر هنا وهناك وينظرون إلى الساعة بين الحين والآخَر. ولعل أهم الأسباب في ذلك هو عدم التنشئة المبكرة في الكنيسة وعدم إحضار الطفل من سن مبكر للكنيسة وهو ما تُتيحه لنا المعمودية المبكّرة للطفل.

٥) نُعمّد الأطفال حيث يُعلِّمنا السيد المسيح قائلاً: "**دَعوا الأولادَ يأتونَ إلَيَّ ولا تمنَعوهُمْ لأنَّ لمِثلِ هؤُلاءِ ملكوتَ السمواتِ**" (مت ١٩ : ١٤). فتخيلوا أننا نحاول منعهم بسبب سنهم، فماذا ستكون النتيجة؟ ... سيغضب السيد المسيح علينا كما سبق وغضب على التلاميذ لمنعهم الأطفال من الدخول إليه (مت ١٠). ولكن قد تواجهنا عبارة السيد المسيح "**منْ آمَنَ واعتمَدَ خَلص ..** " (مر ١٦ : ١٦). فهى تحتاج إلى توضيح ... ولتوضيحها نقول:

أ) إن هذه الآية بالأكثر تخصّ الكبار الذين كانوا يدخلون للمسيحية في بداية المسيحية، فلأنهم في سن الإدراك فلا بد من عمادهم بعد تلقينهم الإيمان، وهذا ما تقوم به الكنيسة بالفِعل وستقوم به في كل زمان، وفي هذه الحالة يكون الإيمان حتمياً قبل المعمودية.

ب) تعميد الأطفال يتم على إيمان والديهم (الأشابين) ويقومون هم بالتبعية بنقل هذا الإيمان إليهم بالتدريج. وبالرجوع إلى طقس المعمودية نجد في وصية الإشبين ما يؤكد هذا الأمر. وفي حالة عدم وجود والدين للطفل على مستوى إيماني وروحي، يجب على الكنيسة تكليف إشبين آخَر سواء من الأسرة أو من خارجها للقيام بمسئولية متابعة تلقين الإيمان للمعمدين من سن مبكر.

ج) تسليم الإيمان للطفل الصغير أسهل كثيراً عنه في حالة الكبير، حيث أن الطفل يتعامل مع أصعب العقائد في تسليم مع بساطة. وهو ليس في حاجة

لإقناعه بها كما يحدث مع الكبير، كما أنه لا يحتاج لجهد لتفسيرها له عندما يكبر لأنه اعتقد فيها منذ صغره ومارسها على مدى سنوات.

وعلى سبيل المثال:

- عبارة بِاسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد (التي تُلخّص عقيدة الثالوث).
- صلاة بشفاعة والدة الإله القديسة مريم (التي تؤكّد عقيدة الشفاعة وخاصة المتعلّقة بالسيدة العذراء مريم).
- قانون الإيمان (الذي يحتوي على أغلب عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية).

وهكذا الكثير من الأمثلة الإيمانية والعقائدية التي يحفظها الطفل في تسليم دون جهد.

٦) ومما يؤكد حتمية عماد الطفل هو عبارة بطرس الرسول: **"لأَنَّ المَوْعِدَ هو لكُمْ ولأولادكُمْ ولكُلِّ الذين على بُعدٍ، كُل مَنْ يَدعوهُ الربُّ إلهنا"** (أع ٢ : ٣٩).

٧) عماد الأطفال يُذَكِّرنا بختان الأطفال في اليوم الثامن حتى تصير لهم العضوية المبكّرة في شعب اللَّه.

وهنا نسأل مَن يعترض على معمودية الطفل؟ هل الأطفال المختونون في ثامن يوم من ميلادهم يدركون ما يحدث لهم؟ هل يدركون ما ورء ختانهم من عقائد؟ إن كنا نطالب بتأجيل معمودية الطفل حتى سن الإدرك فلماذا سَنَّ اللَّه تشريع ختان الأطفال قبل سِن الإدرك؟!

٨) ختان الأطفال يُذَكِّرنا أيضاً بخلاص الأطفال الصغار بدم خروف الفصح في أرض مصر في حين هلك أبكار المصريين لعدم تمتُّعهم بفاعلية دم خروف الفصح.

٩) يُضاف إلى ذلك العديد من أحداث العهد الجديد التي تؤكد حقيقة عماد الأطفال في بداية المسيحية:

أ) سجّان فيلبي:

لعلنا نتذكَّر قول مُعلّمنا بولس الرسول له: "**آمِنْ بالرَّبِّ يَسوعَ المَسيحِ فتخلُصَ أنتَ وأهلُ بَيتِكَ**" (أع ١٦ : ٣١). فهل أهل بيته جميعاً كانوا كبار السّن حتى يؤهلون للخلاص؟ بالتأكيد لا. وبالتأكيد شاركهم في ذلك كل أطفال البيت.

ب) ليديا بائعة الأرجوان:

يقول عنها الكتاب المقدس: "**اعتَمَدَتْ هي وأهلُ بَيتِها ...**" (أع ١٦ : ١٥)، بالتأكيد ما قد سبق وقيل عن بيت سجان فيلبي ينعكس أيضاً على بيت ليديا.

ج) في قصة كرنيليوس مع بطرس الرسول:

نتذكر تلك العبارة عندما ذهب بطرس الرسول إلى بيت كرنيليوس: "**والآنَ نَحنُ جميعاً حاضِرونَ أمامَ اللَّه لنسمَعَ جميعَ ما أمَرَكَ بهِ اللَّهُ**" (أع ١٠ : ٣٣)، "**فبَينما بُطرُسُ يتكلَّمُ بهذِهِ الأُمورِ حَلَّ الرّوحُ القُدُسُ علَى جميعِ الذينَ كانوا يسمَعونَ الكلمَةَ**" (أع ١٠ : ٤٤)، "**وأمَر أن يعتمدوا باسمِ الربِّ**" (أع ١٠ : ٤٨). فمن الواضح من هذه القصة حلول الروح القدس على كل مَن في البيت بما فيهم الأطفال وبالتالي عماد كل من حل عليه الروح القدس بما في ذلك الأطفال.

١٠) الكثير من أقوال الآباء تؤكد معمودية الطفل:

حيث ينال الأطفال والصغار والصبيان والشبان والكبار الميلاد الجديد في اللَّه:

القديس يوستين: "كثيرون هم تلاميذ المسيح وهم أطفال".

القديس كبريانوس: من خلال رسالة طويلة له نقتبس الآتي "ماذا نقول عن الذين لا يزلون رضعاً ولم تصيبهم خسارة ولا نعمة ... هل نعمّدهم أيضاً؟". ثم يُجيب (طبعاً لأنه لا يوجد خطر فإنه من الأفضل لنا أن نتقدس ونحن لا ندرك من أن نرحل بدون هذا الختم وهذا التكريس).

القديس أُغسطينوس:

"الأطفال المعمّدين الذين يموتون قبل بلوغهم سن الرشد يهربون من الدينونة التي سَقطت تحتها البشرية، لهذا تمنع الكنيسة الأم من التناول حتى تُعمّد طفلها".

ولهذا تشدّد الكنيسة العقوبة على الأسرة التي يموت طفلها دون معمودية، ولهذا لا يُصَلّى في الكنيسة على الطفل غير المعمّد.

وبعد هذه الدراسة التحليلية الكتابية الآبائية لعلنا ندرك الآن حكمة أمنا الكنيسة القبطية في تمسُّكها بمعمودية الطفل وتناوله من الأسرار خلافاً للكثير من الكنائس الأخرى.

الكنيسة القبطية وخدمة الطفل

الكنيسة هى الأم. وعلى الأم أن تهتم بحاضر ومستقبل الطفل فتهتم به على الأرض بما يخدم حياته الأبدية. فعليها بكل الوسائل أن تربطه وتوحّده بالرب حتى يتمتع به في السماء. عليها أن توحّده مع أعضاء الكنيسة (جماعة المؤمنين) في المسيح الرأس بما يؤهله للأبدية. وللكنيسة أدواتها الروحية لذلك نذكر منها:

أولاً: القداس الإلهي والطفل:

القداس الإلهي أكثر وسائل الإشباع الروحي للطفل. فدوره يفوق كثيراً دور دروس مدارس الأحد في حياة الطفل الروحية لأسباب عديدة:

١) القداس الإلهي هو وسيلة مقدّسة لاتحاد الطفل بالسيد المسيح.

فمن خلال الذبيحة يثبت الطفل في اللَّه واللَّه فيه: "**مَنْ يأكُلْ جَسَدي ويَشرَبْ دَمي يَثبُتْ فيَّ وأنا فيهِ**" (يو٦: ٥٦)، وعلينا أن نتخيل أننا نثبِّت الطفل في

المسيح منذ نعومة أظافره، فمن الذي يستطيع أن يفصله عن المسيح أو الكنيسة بعد ذلك.

٢) القداس الإلهي يوحّد الطفل بجماعة المؤمنين منذ الصغر.

فمن خلال القداس يتلاقى الطفل بأقرنه الأطفال، وتنشأ بينهم علاقة وطيدة منذ الصغر، وتنمو مع الأيام بما يمثّل له نوع من الحصانة الروحية والمجتمعية من أصدقاء الشر سواء في الشارع أو المدرسة أو النادي فيما بعد. والأمر هنا لا يتعلّق فقط بعلاقة اجتماعية تنشأ بينه وبين أبناء الكنيسة من الصغر بل هنالك عمل سرئري عجيب، فباتحاده بالسيد المسيح من خلال الذبيحة والتي من خلالها أيضاً يتحد جميع المؤمنين بالسيد المسيح بما يشكّل في النهاية جسد واحد رسه السيد المسيح.

هذا يعني أنه من خلال الذبيحة يتحد الطفل بالمسيح ويتحد أيضاً اتحاداً روحياً بباقي أطفال الكنيسة. وهذه العلاقة الروحية وتلك الوحدانية في المسيح تحفظه من أي تقلبات في المستقبل. وفي هذه الدائرة الروحية من الأصدقاء التي يتحصّن بها منذ الصغر تجعل كل اختيارته من صداقات من الجيرن والمدرسة والعمل من هذه المجموعة التي ارتبط بها في الكنيسة، فتكون هى الدائرة الأقرب له بمرور الأيام.

٣) القداس الإلهي هو أقوى المغذيات الروحية للطفل.

القداس الإلهي مُشبع جداً للطفل حيث يشبع فيه كل الحواس:

- فحاسة الشم تتمتع برئحة البخور الزكية التي يحبها الطفل كثيراً.
- وحاسة السّمع تتغذى من خلال أجمل الألحان الكنسية، ومن خلال صوت الدف والترياننتو والتي تجذب انتباه الطفل بشدة، فيحاول تقليدها في البيت من خلال استخدام أواني المطبخ، ويكون أكثر سعادة لو أحضر له والده دفاً صغيراً ليستخدمه في البيت.

ـ أمّا حاسة النظر فتغذيها الأيقونات الجميلة الموجودة على حامل الأيقونات وجدرن الكنيسة، ومما يثبت ارتباطه بالقديسين من خلال الأيقونات اصطحاب والديه له إلى الأيقونات محمولاً على ذرعيهم منذ الصغر للتبرُّك منها بمجرد لمسها أو تقبيلها، ومع الأيام نجده يهتم بجمع صور صغيرة للقديسين ليحتفظ بها، ومع الأيام تنمو علاقته بالقديسين فيتمتع بصداقتهم ويتبارك بشفاعتهم عنه.

ـ أيضاً حاسة التذوّق يتم إشباعها من خلال التناول من الجسد والدّم، وقد يكون الأمر مستغرباً أو مرفوضاً من الطفل في البداية لأنه قد تعوّد على تناول طعامه من أمه فقط. وهنا علينا ألاّ نستخدم الإرغام والقهر لإجباره على التناول، وأنا أُفضِّل أن تقف الأم حاملة طفلها بالقرب من المتناولين حتى يعاين الطفل بنفسه ما يفعله باقي الأطفال مما يشجعه على الإقبال على هذه التجربة الجديدة بأن يتناول من الأب الكاهن. وعلى الأم أيضاً قبل التناول أن تهيئه نفسياً بإشارت وعبارت بسيطة، وعند التناول عليها أن تتناول هى أولاً. وهنا أنصح الآباء الكهنة وأرجوهم مهما كان عدد المتناولين كبيرً أن يطيلوا أناتهم على الطفل، وأن يحاولوا أن يبتسموا في وجهه قبيل وعند التناول، لأن اهتمام الأب الكاهن به وابتسامته له تؤثر إيجابياً بدرجة كبيرة، ومع الوقت نجد أن الطفل قد أحب التناول جداً، بل ويتمنى ويسعى للتناول أكثر من مرة إن أمكن ذلك. ونجد ذلك واضحاً لدى الأطفال الأكبر سناً وبصفة خاصة عند توزيع الألوجية (لقمة البركة)، فنجد الطفل يحاول أن يأخذ أكثر من مرّة بل ويأخذ نصيب والدته.

وهنا نسأل هل القربان أكثر أهمية بالنسبة للطفل من الحلوى لدرجة أنه يأكله بنهم ويسعى لأن يأخذ أكبر قدر منه؟ بالتأكيد وفي الوضع الطبيعي الحلوى أكثر جاذبية لعامة الأطفال من أي نوع من المخبوزت الخالية من السكر؟ وهنا نعود لنسأل: ما هو السر ورء إقبال الأطفال على القربان بهذه الصورة؟

وهنا أُجيب أن الأمر يتعلّق بعمل الروح القدس في الطفل. إنه عمل إلهي مما يجعل الطفل يحب القربان فيحب الذهاب إلى الكنيسة منتظراً نهاية القداس لأجل القربان الذي أحبه منذ نعومة أظافره، وقد يكون الأمر مختلفاً بعض الشيء بالنسبة للطفل الذي لم يتعوّد على الذهاب للكنيسة منذ الصغر.

وهنا أنصح الآباء والأمهات بالاهتمام باصطحاب الطفل للكنيسة وهو لا زال بعد رضيعاً، وألتمس من الآباء الكهنة والخدام ألاّ يتضايقوا من إزعاج الأطفال وألاّ ينتهروهم بسبب صوتهم أو حركتهم، وألا نعنّف أمّاً بسبب تركها لطفلها يبكي أثناء الخدمة. علينا أن نشجّع الأم ونشجّع الطفل على الحضور للكنيسة في سن مبكر.

فالقداس الإلهي بكل ما فيه هو أهم ما يُميّز الكنيسة القبطية عن الكنائس البروتستانتية في جذب الطفل للكنيسة. فقد يكون لدى بعض الطوائف الأخرى وسائل تربوية أو تجهيزات تكنولوجية تجذب الطفل لخدمة مدارس الأحد، ولكن ليس لديهم القداس الإلهي الذي يشبع كل حواس الطفل. لذا علينا ربط الطفل من سن مبكر بالقداس الإلهي، حيث القربان والدف والتريانتو، حيث الألحان والأيقونات، حيث الجسد والدّم المقدسيْن.

ثانياً: قداس الطفل وأهميته:

خصّصت كثير من الكنائس قداسات للأطفال وذلك لأهميتها بالنسبة للطفل للأسباب الآتية:

١) تنمية المعـ ـرفة الدينية :

فينبغي أن يكون قدّاساً تعليمياً، فمن الممكن أن يتوقَّف الأب الكاهن عن ممارسة الطقس عدّة مرت لدقائق محدودة لشرح سريع وبأسلوب حواري لبعض الطقوس.

كما ينبغي أن تكون عظة القداس قصيرة ومركّزة ولكن بأسلوب يتناسب مع الطفل، على أن يكون الهدف من العظة محدّداً وواضحاً، وأن يكون لها هدفاً واحداً حتى يمكن للطفل استيعابه. علينا بالتأكيد على وجود شاشة عرض كبيرة حتى تكون درجة الاستفادة أكبر ما يكون، هذه الشاشة تعرض ما يقوم به الأب الكاهن على المذبح بما يمكّن الطفل من رؤية كل شيء كما لو كان حاضراً في الهيكل، وهذا يؤدي إلى عدّة أمور إيجابية منها:

- تركيز الطفل فيما يراه من طقوس مما يؤدي إلى عدم تشتته أثناء الصلاة.
- زيادة الجرعة المعرفية لطقوس الكنيسة منذ الصغر.
- تقليل حركة الأطفال بالكنيسة.

٢) تنمية روح المشاركة الإيجابية في الطفل:

علينا أن نهتم بأن يكون خدام القداس جميعهم من الأطفال، فهم الذين يخدمون في الهيكل وهم الذين يرددون الألحان، وهم الذين يقرون قرءات القداس سواء في صلوات الأجبية أو قرءات القطمارس أو السنكسار. ولكن علينا أن نهتم جداً بتوزيع القرءات عليهم قبلها بيوم أو أكثر حتى يتدرّب عليها الطفل في البيت، مما يساعده على إجادة القرءة، وبالتالي بناء الثقة في النفس، فيتشجّع على ذلك منذ الصغر.

٣) تنمية روح النظام والترتيب في الطفل منذ الصغر.

من المهم أيضاً في قداس الأطفال أن يقوم الأطفال بأنفسهم بالتنظيم داخل الكنيسة، وبإعداد الهيكل قبل القداس، وتنظيف وإعادة ترتيب الكنيسة بعد القداس.

٤) تنمية العمل الجماعي في الطفل منذ الصغر.

فالمشاركة في خورس الشمامسة وأداء الألحان والمردات بروح جماعية وتوزيع الاختصاصات بينهم أمر في غاية الأهمية لتنشئة الطفل على العمل الجماعي منذ الصغر.

٥) تنمية روح القيادة في الطفل منذ الصغر.

لنا أن نتخيّل ذلك الطفل الذي يقود الألحان في الخورس أو الذي يوزّع المردات على إخوته في الهيكل أو الذي يقود مجموعة النظام أو مجموعة النظافة في الكنيسة. ليتنا نتخيله بعد عشرة سنوات أو عشرون سنة ... ماذا سيكون، بالتأكيد سنرى فيه أحد قادة الكنيسة والمجتمع من الشباب الناضج نضوجاً مبكراً بسبب ارتباطه بالكنيسة منذ الصِّغر.

٦) تنمية العلاقة الخاصة بين الطفل والأب الكاهن منذ الصغر.

وهنا يكون الاحتكاك مباشراً بين الأب الكاهن والطفل، وأرجو أن يهتم كل أب كاهن يقود قداس الطفل أن يتعامل مباشرةً مع الأطفال دون وجود وسيط من الخدام.

وأنصح هنا أن تقتصر كل الخدمات في قداس الأطفال على الأطفال فقط، وفي حالة حضور الخدام أو الأهالي عليهم أن يجلسوا في آخِر الكنيسة تاركين الصفوف الأولى للأطفال، وعليهم ألا يوجّهوا الأطفال في شيء، حيث يترك أمر القيادة للقادة من الأطفال الأكثر نضوجاً.

إن قداس الأطفال يحتاج لقاء بين الأب الكاهن وبعض الأطفال المكلّفين ببعض الخدمات فيه مع وجود خدامهم لترتيب كل الأمور حتى يخرج كل قداس بصورة مشجّعة وبصورة مثالية، وبالتالي نجني الثمار المرجوّة من هذه القداسات. كما أنصح أن يُكلّف أحد فصول الخدمة في كل قداس بإدارة كل ما يتعلّق بالقداس، على أن تتناوب الفصول في ذلك. ومن الممكن أن يخصّص هدايا لأفضل مجموعة نجحت في ترتيب القداس عند انتهاء كل دورة.

ثالثاً: خدمة الشماسية من سن مبكّر:

لقد كان طيب الذكر المتنيح البابا شنوده الثالث بعيد النظر عندما سمح بسيامة الأطفال في سن مبكّر، بل وأشرف بنفسه على إحياء رتبة الأبسالتس (المرتّل)، وذلك من خلال وضع طقس سيامة لهذه الرتبة.

أهمية السيامة المبكّرة للطفل:

١) الارتباط بالقداس الإلهي والذبيحة من سن مبكّر، حيث يسعى الطفل للذهاب مبكراً حتى يرتدي التونية مع الكبار ومع الأب الكاهن في التوقيت المخصّص لذلك قبل قراءة المزامير وتقديم الذبيحة، ومن خلال خدمة الشماسية يلتزم الأطفال منذ الصِّغر بالحضور للكنيسة وبالتالي التناول من الأسرار المقدسة.

٢) الاهتمام بحفظ الألحان والتسابيح من سن مبكّر، فالطفل يريد أن يتساوى مع الكبار في المشاركة في ترديد المردات والألحان، ويشعر بنشوة روحية عندما يشارك في مرد مهم من مردات الكنيسة، أو يشارك في أداء لحن كبير مع خورس الشمامسة.

وهنا، على قيادات الكنيسة ربط الترقية من رتبة إلى أخرى في الشماسية بضرورة حفظ المردات والألحان والتسبحة، فيخصّص لكل رتبة مجموعة من الألحان يلتزم الشماس بحفظها حتى يمكّن ترقيته للرتبة الأعلى مما يحفّزه على السعي لحفظ أغلب ألحان الكنيسة.

٣) استخدام الطفل كوسيلة جذب للكبار. ففي سيامة الطفل كشماس يجعله مهتماً بالتبكير في الحضور بل ونجد أن لديه إرادة قوية في تخطّي كل العقبات التي تحول دون حضوره المبكّر للكنيسة ومنها أسرته، فنجد الكثير من الأطفال يشجّعون والديهم على الذهاب المبكّر للكنيسة وذلك حتى لا يكونوا سبباً في تأخُّر وصولهم في الوقت المناسب، حتى يتسنى لهم لبس التونية.

٤) ربط الترقية لرتبة الأغنسطس بخدمة التربية الكنسية، عندما نعود لطقس خدمة الشمامسة نجد أن طقس الصلوات الخاص بسيامة الأغنسطس مليء بالعبارت التي تتحدّث عن التعليم، فنطلب من اللَّه أن يمنحه روح النبوة أي روح التعليم. ومن هنا يجب على الآباء الأساقفة إن أمكن أن يكون أحد شروط الترقية من رتبة الإبسالتس إلى رتبة الأغنسطس هو

الالتحاق السابق بفصول إعداد الخدام، وهنا نعالج مشكلة قديمة في كنائسنا وهى وجود مجموعتين منفصلتين تماماً: مجموعة الشمامسة محبي الألحان، ومجموعة الخدام محبي المعرفة والتعليم والخدمة، وقد كان هذا الأمر مؤثراً جداً على سيامة الآباء الكهنة في الماضي، حيث يندر أن نجد معلّماً وشماساً حتى تتم سيامته ككاهن قادراً على التعليم مُحبّاً للخدمة الباذلة، وفي نفس الوقت يكون مُحبّاً للطقس ومُلماً بألحان وتسابيح الكنيسة.

رابعاً: خدمة التربية الكنسية (مدارس الأحد):

من أهم الخدمات التي تقدِّمها الكنيسة لأبنائها هى خدمة التربية الكنسية حيث يتم وضع الأساس المعرفي والروحي لأي إنسان مسيحي منذ طفولته المبكّرة. ولعلنا ندرك أن الخادم الذي يوضع في طريق خدمة الطفل في طفولته المبكّرة إنما قد يحدد المصير الأبدي لهذا الطفل.

فمن خلال خادم محبوب ولديه المعلومة الصحيحة بالإضافة للقدرة على توصيل المعلومة مع مشاعر المحبة الفيّاضة والاهتمام بأغلب أمور الطفل ومناسباته، نطمئن على المستقبل الروحي لهذا الطفل والعكس صحيح، ومن هنا علينا في كنائسنا مرعاة الآتي:

١) التدقيق في الاختيار والإعداد الجيد للخادم بالإضافة لمتابعته وتنمية قدرته من خلال اجتماعات ومؤتمرت وبرمج متعدّدة.

ومن الأهمية أن يركز الخادم على تقديم ذاته قدوة للمخدومين في هذه المرحلة السنية الخطيرة وذلك من خلال مظهره وتصرفاته والتزمه بالطقوس والعبادات الكنسية حضوراً ومشاركةً في الخدمة كشماس.

٢) تجهيز مناهج حديثة للتربية الكنسية تغطّي احتياجات الطفل المعرفية والروحية بما يتناسب مع مرحل عمره السنية على أن تُخاطب العقل والروح معاً، وعلى الكنيسة إعادة النظر في مناهجها بما يتناسب مع الزمان والمكان وذلك للتطور

الكبير الذي يمر به العالم، فمناهج قد تم وضعها من عشر سنوات لا تصلُح لليوم، وطفل اليوم يختلف كثيراً في قدرته وتوجهاته عن طفل الماضي القريب.

٣) الاهتمام بتحفيظ الأطفال الألحان والتسابيح في سن مبكّر من خلال مدارس الأحد لأسباب عديدة:

أ- قدرة الطفل في سن مبكّر على الحفظ والتخزين بما يفوق الأكبر بكثير.

ب ـ إن ما يتمّ حفظه في سن مبكّر يصعب نسيانه عكس ما يحدث مع الأكبر.

ج - الألحان والتسابيح تربط الطفل في سن مبكر بالكنيسة وطقوسها وعباداتها.

فعلى الكنيسة إعداد مناهج للألحان والتسابيح تغطّي كل الألحان من خلال توزيعها على سنوات عمر الطفل، وهنا نذكر بالخير الجهد المشكور الذي يبذله قداسة البابا تواضروس الثاني في هذا الشأن حالياً. نشكر نيافة الأنبا موسى وأسقفية الشباب على الجهد المبذول في مهرجان الكرزة الذي غطّى الكرزة المرقسية كلها، وأدى إلى طفرة في حفظ ألحان الكنيسة لدى الأطفال بالكنيسة القبطية في كل العالم.

٤) الاهتمام باستخدام أساليب حوارية وتمثيلية أكثر منها تلقينية لتوصيل المعلومة لأبناء الكنيسة في مدارس الأحد، وهذا يستدعي تدريب جيد تحت إشرف متخصصين للخدام وخاصة خدام الطفولة المبكرة.

٥) اشترك الأطفال في التحضير وفي الأنشطة المكمّلة وفي إعداد الهدايا، وهذا الأسلوب يؤدي إلى:

أ- تنمية روح الخدمة في الطفل.

ب ـ تنمية روح العمل الجماعي.

ج ـ تنمية روح القيادة المبكّرة في الأطفال.

د ـ اكتساب مهارت ومعلومات أكثر في سن مبكّر.

٦) استخدام وسائل إيضاح متنوّعة ومعاصرة نستخدم فيها ما توفره لنا التكنولوچيا الحديثة، فلم يعد استخدام (slide show) بروچيكتور الصور الثابتة مؤثراً، بل نحتاج لاستخدام (Multy media)، (Power point). وبالرغم من هذا التقدُّم نجد أنه لا زالت هناك أهمية لاستخدام مسرح العرائس بأشكاله وأساليبه المتنوِّعة.

٧) الاهتمام بوضع منهج للترانيم على أن يتم تكليف كُتّاب وملحنين متميزين في وضعها تحت إشراف الكنيسة.

وأتمنى أن أرى اليوم الذي أجد فيه في مكتبة الكنيسة ترنيمة لكل درس من دروس مدارس الأحد، وأتمنى أن أرى هذا اليوم الذي نجد فيه نفس الترنيمة، ونفس الدرس بكل اللغات لكل أبنائنا في المهجر. إن الأمر يتطلب جهداً كبيراً، ويحتاج لكتيبة عمل متخصّصة تحت قيادة حكيمة.

٨) علينا أن نهتم في فصول مدارس الأحد بالمسابقات والحوافز التي تؤدي إلى إعمال العقل والتركيز في فهم وحفظ المعلومة، على أن تكون هذه المسابقات مدروسة بطريقة تربوية يراعى فيها ألا يزداد المتميز تميزاً ويزداد الضعيف ضعفاً وإحباطاً، فعلينا أن نشجّع الكل وأن يشعر الكل أن له نصيباً في الحوافز.

خامساً: الأنشطة الصيفية.

العطلات السنوية وخاصة الصيفية التي قد تستمر لبضعة شهور قد تمثل عبئاً كبيراً على الأسرة حيث الفراغ الذي يحيط بأبنائهم فيؤدي إلى خلافات ومشاجرات بين الأطفال داخل البيت، أو قد يصيبهم بالملل الشديد لعدم وجود ما يشغلهم وقد يدفعهم للخروج خارج البيت وخاصة في الأعمار الأكبر مما قد يؤدي

لاختلاطهم بالعناصر السلبية في المجتمع. فقد تؤثر العطلات الصيفية بالسّلب على مناحي حياتهم.

ومن هنا ندرك أهمية دور الكنيسة في التخطيط لاستثمار فترة العطلات لشغل أبنائها الصغار في أنشطة تعود عليهم بالنفع الروحي والاجتماعي وتؤدي بالتبعية للتخفيف عن أولياء الأمور. على الكنيسة الاهتمام بتوفير كل الأنشطة التي تتناسب مع كل الأعمار. ومن هذه الأنشطة:

١) **النشاط المسرحي والكورال:** وهنا أتذكّر عندما اهتممنا في إيبارشية طنطا بالأنشطة الصيفية ابتداءً من عام ١٩٩٠ بما في ذلك الأنشطة المسرحية وأنشطة الأوبريت والكورال، كنا نقيمها على هيئة مسابقات بين جميع الكنائس على أن تقوم الكنيسة من خلال أبنائها بكل شيء بما في ذلك كتابة النص والإخراج والألحان والديكور والمكياج وغيرها. وكنا نقيمها على هيئة مسابقات تقوم لجنة متخصّصة للتحكيم بين الكنائس، وكان من نتائج هذا الأمر ملاحظة أبداها لي عميد كلية التربية النوعية في طنطا حيث سألني: لماذا يتفوّق المسيحيون كل عام على زملائهم في قسم الموسيقى مما يؤهلهم للتعيين في هيئة التدريس بالجامعة. فكان ردّي: إن كل الطلبة يأخذون رحة من درسة الموسيقى في الصيف فيما عدا المسيحيون حيث يمارسون التأليف والأداء الموسيقى في أنشطة الكنيسة أثناء فترة الصيف.

٢) **المسابقات الروحية وحفظ الألحان:** وهنا أتذكّر أيضاً أنه قبل أن يؤسّس نيافة الأنبا موسى مهرجان الكرزة ليغطّي الكرزة المرقسية كلها بسنوات كنا في طنطا نقيم مسابقات بين جميع الكنائس لجميع المرحل السنية في جميع العلوم الدينية بالإضافة للتسبحة والألحان، وكان ذلك لسنوات عديدة حتى تم تأسيس مهرجان الكرزة فأصبحنا كإيبارشية نشارك فيه بصورة رمزية حتى نحافظ على قوام المسابقات المحلية في الإيبارشية، والتي تبدأ مع أول أيام العطلة الصيفية وتنتهي عند نهايتها، حيث يؤدي هذا الأمر إلى شغل فرغ أبناء الكنيسة في أمر إيجابي محبب لهم طوال شهور الصيف.

وهنا لا بد أن أذكر أن الأنشطة الصيفية سواء مسرحية أو روحية تؤدي إلى نتائج اجتماعية طيبة حيث ينشأ أبناء الكنيسة ذكور وإناث معاً في مناخ صحي تحت إشراف الكنيسة يتعاملون معاً بروح مسيحية تجنبهم الكثير من الانحرافات وخاصة في الفترة الجامعية.

٣) **المسابقات الرياضية:** وهى ليست بأقل أهمية من المسابقات الروحية والمسرحية وخاصة أنها تخدم فئة من أبنائنا قد يكون إقبالهم على الروحيات أقل من غيرهم. وللمسابقات الرياضية تحت إشراف الكنيسة فوائد عديدة:

أـ توفير ما يُشبع هوايات أبنائنا من محبي الرياضة داخل الكنيسة في مناخ مسيحي روحي.

ب ـ ربط المسابقات الرياضية بمسابقات خفيفة وبسيطة في الكتاب المقدس، وقد نجحنا في ذلك في طنطا حيث يتبارى كل فريقين روحياً وكتابياً قبل المباراة الرياضية. والفائز هو من يحصل على نقاط أعلى في مجموع نقاط المسابقتين (المسابقة الرياضية والمسابقة الروحية).

٤) **الخلوات الروحية:** نشكر اللَّه كثيراً الذي أرشد كنائسنا في بناء وتأسيس بيوت للخلوة بصورة غير مسبوقة في الكثير من الأماكن وفّرت الفرص لخلوات روحية لأبناء وبنات الكنيسة تؤدي إلى تفرُّغهم الكامل لبضعة أيام للدراسة والتأمُّل والصلاة، مع مراعاة وجود وقت لممارسة بعض الأنشطة الاجتماعية لربط أبناء الكنيسة ببعضهم، وتنمية الروح الإيجابية في المشاركة الجماعية.

٥) **الرحلات الهادفة:** من المهم أن ترعى الكنيسة نشاط الرحلات فيتمّ تشكيل لجنة متخصِّصة مع توفير وسائل النقل المملوكة للكنيسة، حتى يمكن توفير هذه الخدمة بأسعار مناسبة. وتحتاج لجنة الرحلات أن ترعي الآتي:

أـ أن تتناسب الرحلة مع الأعمار من جهة مدّة السفر والأماكن التي يتم زيارتها.

ب ـ وجود برامج سابقة الإعداد لكل مكان يتم زيارته بالإضافة لأن يكون مناسباً لكل عمر.

ج ـ وجود مشرفين متخصصين مكلّفين بخدمة الرحلات.

د ـ توفير احتياجات الطريق من طعام وشراب بمعرفة الكنيسة وعدم الاعتماد على الأسرة في ذلك حتى يتساوى الجميع بروح الشركة المسيحية.

هـ ـ الالتزام بالمواعيد سواء في قيام الرحلة أو عودتها حتى نثبت روح الالتزام في الأطفال من خلال الحضور في التوقيت المحدد، ثم نثبت روح الطمأنينة لدى أولياء الأمور بالعودة في الموعد السابق تحديده.

سادساً: الأنشطة الكشفية:

النشاط الكشفي نشاط عالمي يغطّي كل بلاد العالم وهذا ما يؤكد أهميته، وأصبح لزماً علينا توفير النشاط الكشفي في كنائسنا للجنسين ولكل الأعمار المسموح لها، وذلك لأهميته التي نوضحها كالتالي:

١ـ **تنمية روح البذل والعطاء:** وهنا نتذكّر قصة إشباع الجموع، وكيف أن صبي صغير رعي للغنم قدَّم كل ما لديه من طعام لأجل الجموع الغفيرة، وكان طعامه سبب بركة وأدى إلى إشباع الآلاف وفضل منه اثنتي عشر قفة مملوءة. والأنشطة الكشفية يمارس أعضاؤها أعمال الخدمة الباذلة.

٢. **تنمية روح الخضوع والطاعة:** فالنظام الكشفي صورة صغيرة للنظام العسكري حيث الالتزم والخضوع للنظام والمواعيد بل وللرُّتب الأعلى، وهو بهذا ينمّي بصورة واضحة روح الخضوع للوالدين والمدرسين وكل من هو أكبر.

٣ـ **تنمية روح العمل الجماعي:** وهنا أسأل كيف سيتم إقامة (نصب) خيمة في المعسكر، لا بد أن يشارك فيها العديد من أعضاء الفريق الكشفي معاً، وما أقوله على إقامة خيمة يتكرّر في كثير من الأعمال والأنشطة مما يولّد روح العمل الجماعي التي سوف تنعكس على أعضاء الفريق في الكنيسة والأسرة والمجتمع، بل وعلى مستقبلهم الأسري والعملي.

٤ـ **تنمية المعلومات العامة:** ففي المعسكرت يتم تدريس بعض الأمور المتعلّقة بالوطن والحركة الكشفية وتاريخها بالإضافة لأمور كثيرة، مما يؤدي إلى توسيع مدارك العضو وتوسيع دائرة معرفته التي ارتبطت مصادرها في الغالب بالمدرسة والكنيسة والأسرة.

٥ـ **اكتساب مهارت جديدة:** ففي المعسكر يتم اكتساب العديد من المهارت الفنية بالإضافة لمهارة إعداد الطعام، حيث يعد أفرد الفريق لأنفسهم بأنفسهم وجباتهم الغذائية.

٦ـ **تنمية روح الاعتماد على النفس:** فعضو الفريق الكشفي يُعد خيمته ويُعد مرقده وينظف أواني الطعام وينظف وينظم معسكره بنفسه، كل هذا ينعكس على أسرته بل وينعكس على مستقبله كشريك حياة بعد زواجه وكعضو ناجح في المجتمع.

٧ـ **تنمية الروح الوطنية وخدمة المجتمع:** من خلال ما يدرسه العضو وما يمارسه داخل المعسكر تنمو روح الانتماء الوطني لديه، وتتولّد لديه محبة المشاركة الفعالة في خدمة المجتمع من حوله. ولهذه الأسباب وغيرها نشعر بأهمية تنمية الحركة الكشفية داخل كنيستنا، بل ويمكننا الاعتماد على أعضاء الفريق الكشفي في تنظيم الاحتفالات والمناسبات داخل الكنيسة.

وهنا أتذكر النجاح المُبهر لتنظيم وإدارة مراحل انتخاب قداسة البابا تواضروس الثاني (الانتخابات ــ القرعة الهيكلية ــ حفل التجليس) والتي أشاد به الجميع داخل مصر وخارجها. ونالني الكثير من المديح والتكريم لقيامي بالإشراف على هذا العمل، وأمام المجاملة والتكريم كنت أشعر أنني أخذت أكثر مما أستحقه، فوراء كل هذه النجاحات يوجد فريق عظيم من الخدام هم فريق الكشافة تحت إشراف الدكتور صموئيل نجل جناب الأب المبارك القمص متياس فريد، وعلى المستوى الشخصي فلقد استفدت الكثير من الخبرات من هذا الفريق العظيم، فأنا أشعر أنهم يستحقون من الكنيسة كل تكريم على كل ما قدّموه. وأشعر أن ما قدَّموه إنما يؤكد أهمية الكشافة في كنيستنا وأهمية تنمية الحركة الكشفية والاستفادة منها على كل الأصعدة بالكنيسة.

ومن هنا وفي هذا الكتاب أسجل تقديري وتحيتي وإعزازي لهذا الفريق الكشفي الذي قدّم الكثير للكنيسة، وقدّم قدوة وصورة طيبة لكل الفرق الكشفية بالكنيسة.

سابعاً: مدرسة المواهب.

من الأمور التي أعتز بتأسيسها في الإيبارشية هى مدرسة المواهب، حيث نستعين بطلبة وحديثي التخرُّج بالكليات الفنية (فنون جميلة ـ فنون تطبيقية ـ

تربيـة نوعيـة ـ معاهـد موسـيقى) لعمـل فصـول ينضـم إليهـا فـي فتـرة الصـيف الأطفال الراغبين فـي تنميـة مواهبهم الفنيـة. وهذه الفصـول إن أُحسِن إدارتهـا سـتكون أهـم معاهـد الفنـون القبطيـة التـي يتخـرّج منهـا فنـاني المسـتقبل مـن الأقباط.

الفصل الرابع

الأسـرة والطفـل

في هذا الفصل ـ وهو الأكبر والأكثر أهمية في هذا الكتاب ـ نسلّط الضوء على تنشئة الطفل تنشئة مسيحية على أساس تربوي سليم داخل الأسرة. ويشمل هذا الفصل العديد من الدراسات والتأملات التي تهم كل أسرة لأجل الاهتمام بأبنائهم ورعايتهم رعاية شاملة.

أولاً: الأبناء بركة ومكافأة إلهية

فنقرأ في سفر المزامير: **"هُوذا البنُون ميراثٌ من عند الرَّبِّ، ثمَرَةُ البَطن أُجرَةٌ. كَسِهَامٍ بيدِ جَبَّار، هكذا أبناء الشَّبيبة. طوبى للَّذي ملأ جُعْبَتَهُ منهم. لا يخزون بل يُكلِّمون الأعداء في الباب"** (مز ١٢٧ : ٣ ـ ٥).

"طُوبى لكُلِّ مَنْ يَتَّقِي الرَّبَّ، ويسلُكُ في طُرُقِهِ. لأنَّك تأكُلُ تعَبَ يَدَيكَ. طُوبَاكَ وخَيْرٌ لك. امرأتُكَ مثلُ كَرْمَةٍ مُثمِرَةٍ في جوانِبِ بَيتِكَ. بَنُوكَ مثلُ غُرُوسِ الزَّيتون حول مائدتكَ. هَكَذا يبَارَكُ الرجُلُ المُتقي الرب " (مز ١٢٨ : ١ ـ ٥).

+ ففي مزمور ١٢٧ نلاحظ الآتي:

١ـ التأكيد على أن الأبناء عطية وميرث من الرب ويهبها اللَّه لأبنائه كعطية وأجرة مباركة.

٢ـ يشبّه المزمور الأب بشاب جبّار يحمل قوسه، وهنا نتساءل ماذا يستفيد الجبّار بقوسه إن لم تكن جعبته مليئة بالسهام، فالسهام هى أدوات ذلك الجبّار لهزيمة أعدائه، وكأن سليمان الحكيم كاتب هذا المزمور يريد أن يؤكد أن الأبناء قوة مضافة لآبائهم.

+ وفي المزمور ١٢٨ يؤكّد المرنم على الآتي:

١ـ إن البنون عطية صالحة وحية "غروس زيتون"، من اللَّه تعطى كمكافأة من اللَّه لـ ن يتّ ي الرب ويـ◆لك في طرقه.

٢ـ وإن الأبناء المباركين بركة ومكافأة من اللَّه لكل مَن يتقي الرب: "**هكذا يُبَارَكُ الرَّجُلُ المُتَّقي الرَّبَّ**" (مز ١٢٨ : ٥).

٣ـ وأن الأبناء هم أعظم البركات الإلهية التي يمنحها اللَّه للإنسان على الأرض وذلك لأسباب عديدة منها:

ـ الأبناء عطية حية بما يميزها عن جميع العطايا المادية: "**مثلُ غُرُوسِ الزَّيتُونِ حَولَ مَائدتِكَ**" (مز ١٢٨: ٣).

ـ الأبناء عطية بشرية، والبشر يتميزون عن كل الخليقة بأشياء كثيرة أهمها أنهم خُلقوا على صورة اللَّه ومثاله، إنهم يتحدون باللَّه بل ويرثون معه في الأبدية فالإنسان خُلِقَ ليعيش إلى الأبد، فحياته تبدأ على الأرض على المستوى الجسدي ولكنها تُستكمَل على مستوى الروح في الأبدية.

ـ الأبناء عطية دائمة لأن كل الأشياء المادية تتحلل وتنتهي، أما روح الإنسان فهى باقية دائماً لا تزول حتى بعد الموت وانحلال الجسد. ولا يشعر بأهمية الأبناء إلا مَن يتأخر في إنجابها أو يفقدها في حياته.

وهنا نتذكر عبارة أليصابات الشهيرة بعد الحَبل بيوحنا المعمدان: "**هكذا قد فَعَلَ بي الرَّبُّ في الأيَّامِ التي فيها نظَرَ إِليَّ، لِيَنزِعَ عارِي بَينَ النَّاسِ**" (لو ١ : ٢٥).

وهنا نتذكر حنة أم صموئيل التي كانت مُرّة النفس لعدم إنجابها طفلاً وكيف كانت خادمتها تعيرها لأن الرب أغلق رحمها، ويقول الكتاب عن حنة: "**وهى مُرَّةُ النَّفسِ. فَصلَّتْ إِلى الرَّبِّ، وبكَت بُكَاءً، ونذرَت نَذْراً وقالت: يارَبَّ الجُنُود، إِن نظَرت نظراً إِلى مذَلَّة أَمَتِكَ، وذَكَرتَني ولم تَنسَ أَمَتَكَ بل أَعطَيتَ أَمَتَكَ زَرعَ بَشرٍ، فَإِنِّي أُعطِيهِ للربِّ كُل يَّامِ حَيَاتِهِ**" (١صم : ١٠ ـ ١١).

ولعلنا ندرك من خلال هاتين القصتين أهمية ولادة البنين بالنسبة للإنسان.

ثانياً: الأبناء مسئولية ووزنة

يُقيم الكثيرون احتفالات استقبالاً لمولود جديد، وهذه الاحتفالات عادة قديمة. فلقد كان بنو إسرئيل يحتفلون بالمولود الذّكر يوم ميلاده من خلال فِرَق الموسيقى والطرب، ولعلنا نتذكّر احتفال السماء بتسابيح الملائكة وألحانهم وقت ميلاد السيد المسيح (مت ٢ : ١٣ ، ١٤). وقد يؤجل البعض من شعبنا القبطي احتفالهم بالمولود حتى اليوم السابع لمولده (السبوع) أو إلى يوم المعمودية. والاحتفال بالمولود أمر طبيعي فهو احتفال بعطية اللَّه الحيَّة، عطية اللَّه البشرية ... ولكن علينا ألا ننسى وسط احتفالاتنا وخاصة يوم معمودية الطفل بالمسئولية الثقيلة المُلقاة علينا كأسرة وكنيسة تجاه هذا الطفل.

ففي يوم المعمودية ...

+ نتسلّم الطفل كأمانة ووديعة من يد اللَّه غير المنظورة من خلال يد الأب الكاهن المنظورة.
+ نتسلّم الطفل بلا خطية حيث غُسِلَت خطاياه الموروثة عن آدم وخطاياه الذاتية من خلال المعمودية في دم المسيح إلهنا الصالح، فعلينا في نهاية الأيام أن نسلّم هذه الوديعة النقية التي بلا خطية إلى اللَّه، علينا أن نسأل أنفسنا: ما هى الصورة التي سوف تكون عليها وقت أن نسلّمها للَّه؟ ومن هنا علينا أن نفكّر جيداً وأن نخطط ونجتهد للحفاظ عليها نقيّة.
+ نتسلّم أبناءنا المعمَّدين بتكليف إلهي لرعايتهم روحياً من خلال وصية علينا الالتزم بها، والتي فيها يسمع والدي الطفل نداء اللَّه من خلال الأب الكاهن: "اجتهدوا في تعليمهم تلاوة الكتب التي هى أنفاس اللَّه وملازمة الكنيسة باكر وعشية وصوم الأربعاء والجمعة ... لكي بهذا تحيا أنفسكم ويحيا أبناءكم". في هذه الوصية ترسم الكنيسة لكل أب وأم خارطة طريق خلاص المعمّد، وتؤكد لهم أن خلاصهم يرتبط إلى حد بعيد بخلاص أبنائهم، "لكي بهذا تحيا أنفسكم ويحيا أبناءكم".

البيت هو الكنيسة الأولى في حياة الطفل:

فالطفل في طفولته المبكرة تنفتح عينيه وأذنيه أولاً على ما هو في البيت، فيرى الكنيسة في بيته من خلال صور السيد المسيح وملائكته وقديسيه التي تزين جدران البيت وخاصة حجرته الخاصة.

ومن خلال أذنيه يسمع ويحفظ منذ طفولته المبكرة العديد من الصلوات والترانيم وآيات الكتاب المقدس التي يرددها أفراد الأسرة.

الوالدين هم أول وأهم مدرسي مدارس أحد في حياة الطفل:

١) فالوالدين أول مَن يتعامل معهم الطفل في المجال الروحي، حيث يتعلّم منهم الأمور الدينية ويرى فيهم القدوة المسيحية قبل أن يخرج ليتعامل مع المجتمع من حوله، وخدام مدارس الأحد في الكنيسة.

٢) الوقت المتاح للطفل مع والديه منذ طفولته المبكرة وحتى بعد الذهاب للكنيسة وحضور مدارس الأحد هو أكثر بكثير من الوقت المتاح له مع خدام مدارس الأحد، فالخادم قد يتعامل معه لساعة أما والديه ففي كل ساعة. وهذا يؤكد أن دور التربية الدينية للطفل لا يتوقف على ساعة واحدة في الأسبوع يقضيها في مدارس الأحد، بل يحتاج لساعات كثيرة على مدى الأسبوع يتمتَّع فيها بالرعاية الروحية داخل البيت.

٣) تعليم الوالدين لأطفالهم أكثر فاعلية لأنه تعليم بسلطان، فالطفل قد لا يركّز في فصل مدارس الأحد ربما بسبب عدد الأطفال أو أسلوب الخادم أو لطبيعة الطفل، أما في البيت وهو جالس على رجلي والديه أو إلى جوار أحدهما فيكون التركيز أعلى والاستفادة أكثر.

٤) التعليم في البيت تعليم ما يحتاجه الطفل وقتما يحتاجه، فلكل طفل احتياج قد يختلف عن الآخَر، بالإضافة أن الأحداث اليومية تحتاج إلى توجيه وتوضيح وتفسير وشرح من الوالدين وفقاً لتساؤلات الطفل أو وفقاً لاحتياجاته اليومية.

ومن هنا نلاحظ أن الأساس للبناء الروحي لأي إنسان يتم وضعه في البيت، وبعدئذٍ تشارك الكنيسة من خلال خدماتها المتنوعة في استكمال هذا البناء الذي يعتمد كثيراً على طبيعة الأساس الذي تم وضعه في البيت، فالطفل الذي تعوَّد على الحفظ في البيت سيتفوّق على أقرانه في الحفظ داخل الكنيسة، والطفل الذي تربى على الصلاة اليومية في البيت سيكون من أوائل الذين يبكّرون طوال حياتهم للذهاب للكنيسة.

أين ابنك من هؤلاء؟

يحتاج كل أب وكل أم أن يضع نُصب عينيه أمثلة جيدة من البشر ليقارن بها أولاده، فلا تنظر إلى جيرانك ولا أقاربك، بل إلى قامات مرتفعة، حتى يرتفع سقف طموحاتك في تنشئة أبنائك، وأضع أمام كل أسرة بعض الأمثلة:

١ـ القديس يوحنا المعمدان:

لقد تمَّت ولادة يوحنا في ظروف عجيبة، ولقد تميّزت ولادة يوحنا بالآتي:

+ فلقد وُلِدَ في ظروف مستحيلة حيث كان زكريا شيخ وأليصابات زوجته متقدّمة في أيامها، ويذكر الكتاب عن أليصابات أنها كانت عاقراً.
+ لقد تمّت ولادة يوحنا المعمدان بصورة معجزية بسبب حياة والديه الممتلئة برّاً وتقوى "**وكانا كِلاهُما بارَّينِ أمام اللَّه، سالِكَينِ في جميعِ وصايا الرَّبِّ وأحكامِهِ بلا لومٍ**" (لو ١ : ٦).
+ لقد تمَّت ولادته ببشارة ملائكية حيث بشّر رئيس الملائكة جبرائيل زكريا الأب قائلاً: " **... لأنَّ طِلبَتَكَ قد سُمِعَتْ، وامرأتُكَ أليصاباتُ ستَلِدُ لكَ ابناً**" (لو ١ : ١٣).
+ ولقد كانت تسميته من الملاك "**وتُسَمِّيهِ يوحَنا**" (لو ١ : ١٣) بمعنى (اللَّه حنّان) لأن اللَّه قد تحنن على زكريا وأليصابات لتقواهم وبرّهم.

+ ولقد انفرد يوحنا المعمدان في كونه امتلأ من بطن أمه بالروح القدس كقول الملاك في البشارة " ... **ومِنْ بَطنِ أُمِّهِ يَمتَلِئُ من الرّوحِ القُدُسِ**" (لو ١ : ١٥). وما يؤكد ذلك ما قيل عن يوحنا المعمدان وهو لا زال جنيناً في بطن أمه كقول أليصابات للعذراء مريم: "**فهوذا حينَ صارَ صوتُ سلامِكِ في أُذُنَيَّ ارتَكَضَ الجَنينُ بابتِهاجٍ في بَطني**" (لو ١ : ٤٤). فلقد عرف بالروح القدس وهو بعد جنين في بطن أمه أن الذي في أحشاء العذراء مريم هو يسوع المُخلّص لذا ارتكض بابتهاج في بطن أمه.
+ ولقد قيل عن يوحنا المعمدان "**أمّا الصَّبيُّ فكانَ يَنمو ويتقَوَّى بالرّوحِ**" (لو ١ : ٨٠).
+ لقد كانت حياة يوحنا المعمدان حياة معجزية بكل المقاييس وعاش قوياً مؤثراً مهيئاً الطريق للسيد المسيح مُعلناً لاهوت السيد المسيح لتلاميذه قائلاً: "**وأنا قد رأيتُ وشَهِدتُ أنَّ هذا هو ابنُ اللَّه**" (يو ١ : ٣٤).

ولكن سِرّ قوة وعظمة يوحنا تكمن في والديه حيث: "**كانا كلاهُما بارَّينِ أمامَ اللَّه، سالِكَينِ في جميعِ وصايا الرَّبِّ وأحكامِهِ بلا لومٍ**" (لو ١ : ٦).

فإذا أردتم ابناً كيوحنا عليكم باقتناء حياة زكريا وأليصابات، وإذا أردتم ابناً كيوحنا عليكم بالتشبُّه بحياة زكريا وأليصابات، وإذا أردتم ابناً كيوحنا عليكم بالإشراف على تنشئته بأسلوب يجعله ينمو ويتقوّى بالروح كيوحنا المعمدان.

٢ـ موسى النبي:

+ لقد عاش وتربّى موسى النبي في قصر ابنة فرعون لمدة قد تصل إلى أربعين سنة وقيل عنه: "**فتَهَذَّبَ موسَى بكُلِّ حِكمَةِ المِصريِّينَ، وكانَ مُقتَدِرا في الأقوالِ والأعمالِ**" (أع ٧ : ٢٢). وخرج موسى من قصر ابنة الملك ليقود بني إسرئيل للخروج من أرض مصر. وهنا نتساءل: كيف له وقد عاش في قصر ابنة فرعون وتهذّب بمعرفة المصريين وتعاليمهم التي لم يصلوا بها إلى معرفة الإله الحقيقي، كيف له أن يخرج كقائد ومدبّر لبني إسرئيل؟! من أين له الإيمان؟ ألم يتأثر إيمانه بإيمان وعبادات المصريين في القصر؟

+ وهنا ندرك السر عندما نعرف بداية قصته، فعندما وضعته أخته في النهر لتجنبه القتل كعادة المصريين في ذلك الوقت بقتل ذكور اليهود عند ولادتهم، وكان تحت رقابة أخته عن بُعد، وبعدما عثرت عليه ابنة فرعون واحتفظت به لجماله. وبحيلة أخذته أخته لتسلّمه لمرضعة وكانت المرضعة هى أمه ... ومع أمه وأخته رضع موسى النبي لبن الإيمان، وتم تأسيسه إيمانياً وروحياً في سن الرضاعة، فكان بالنسبة له أساساً قوياً لا يمكن أن يسمح أن يُبنى عليه بناء إيماني وعقيدي وروحي مخالف.
+ وهنا ندرك السر، فكل نجاحات موسى النبي ارتبطت بسنوات طفولته المبكرة حيث اهتمام والدته وأخته.

وهنا على كل أب وكل أم إدراك أهمية السنوات المبكّرة في حياة الطفل، وعليهم استغلالها إيجابياً في بناء الطفل روحياً وإيمانياً بما يُمَكِّن الطفل في كبره داخل المدرسة والجامعة والمجتمع من مقاومة أي تيارات روحية أو إيمانيه مضادة للأساس الذي تم وضعه في طفولته المبكّرة.

٣ ـ تيموثاوس:

+ لعلنا نتذكّر أن القديس تيموثاوس تلميذ بولس الرسول قد تولى مسئولياته الروحية في سن مبكر، وحتى ندرك الأسباب من وراء ذلك سنتذكر كلام مُعلمنا بولس الرسول له في رسالته الثانية "**إذ أتذكَّرُ الإيمانَ العَديمَ الرِّياءِ الذي فيكَ، الذي سكَنَ أوَّلاً في جَدَّتِكَ لوئيسَ وأُمِّكَ أفنيكي، ولكني موقِنٌ أنَّهُ فيكَ أيضا**" (٢تي ١ : ٥).
+ فعلينا كآباء وأمهات أن ننهل من العلوم الدينية الإيمانية والعقيدية والروحية وغيرها حتى نعيش كمسيحين حقيقيين، ومن خلال حياتنا المسيحية وتعاليمنا الروحية المستمدة من معرفتنا السليمة لإيماننا وتعاليم مسيحيتنا ينشأ أبناؤنا نشأة مسيحية ينتج عنها صورة ومثال للقديس تيموثاوس.

إن سر القوة الروحيّة في الأمثلة الثلاثة السابقة تكمن في أسرهم (الجدّة والأب والأم والأخت)، وهنا يتضح لنا أهمية تنشئة الأسرة للأبناء تنشئة مسيحية والتي تزيد في أهميتها أحياناً وفي بعض الأمور عن دور الكنيسة للأسباب السابق ذكرها.

الوالدية مسئولية مشتركة للأب والأم معاً

الوالدية مسئولية مشتركة بين الأب والأم، وغياب أحدهما عن البيت أو غياب دوره يؤثر بالسلب على الأبناء.

دور الأب:

- لا غنى عن دور الأب في تنشئة الأبناء، وهو المسئول الأول عن الأسرة وبالأكثر عن الأبناء، فإن كان الرجل رأس المرأة، فبالتالي هو رأس الأسرة كلها والمسئول عنها. وفي طقس الإكليل يوصي الأب الكاهن الزوج من جهة زوجته قائلاً: "أنت المسئول عنها من بعد والديها" وذلك للتأكيد على كونه قد صار مسئولاً عنها وبالتالي عن أولادها.
- فالأب في الأسرة هو رأس العائلة، بل هو صاحب لقبها حيث يحمل الأبناء لقب العائلة أي لقب الأب وعائلته.
- وفي المسيحية نضع الزوج أمام مسئولية القيادة الروحية للأسرة، ويتضح هذا من خلال ارتدائه الحُلّة الكهنوتية (البرنس) يوم الإكليل بما يشير رمزياً بكونه كاهن الأسرة ومسيحها.

مكانة الأبوة:

- لمكانة الأبوة ندعو اللَّه أباً لنا، فلقد علَّمنا السيد المسيح الصلاة قائلاً: "**فصَلّوا أنتمْ هكذا: أبانا الذي في السمواتِ، ليتَقَدسِ اسمكَ**" (مت ٦: ٩). وهكذا نقر

العبارة التي كرّرها السيد المسيح: "**فأبوكَ الذي يَرَى في الخَفاءِ هو يُجازيكَ عَلانيَةً**" (مت ٦ : ٤، ١٨) وذلك في عظته على الجبل في سياق حديثه عنا للّه الآب. وهكذا تكررت عبارة أبوكم كثيراً في إشارة إلى اللّه الآب (مت ٥ : ١٦)، (مت ٦ : ١، ٨ ، ١٤، ١٥، ٣٢)، (مر ١١ : ٢٥)، (مت ١٠ : ٢٠ ، ٢٩)، (مت ٢٣ : ٩)، (مر ١١ : ٢٦) (لو ٦ : ٣٦)، (لو ١٢ : ٣٠ ، ٣٢).

- لمكانة الأب ندعو الكاهن أباً حيث نشعر بأبوَّته الحانية في اهتمامه بنا، وعندما نقرأ في العهد القديم نجد أن ميخا النبي يقول للاوي "قِمْ عِندي وكُنْ لي أباً وكاهِناً" (قض ١٧ : ١٠).
- النجاح في الأبوّة أحد شروط الكهنوت ـ فلقد كان من أهم الشروط للأسقفية قديماً هو النجاح في أداء الواجب كأب في البيت "**يُدَبِّرُ بَيتَهُ حَسَناً، لهُ أولادٌ في الخُضوعِ بكُلِّ وقارٍ. وإنَّما إن كان أحَدٌ لا يَعرِفُ أنْ يُدَبِّرَ بَيتَهُ، فكيفَ يَعتَني بكَنيسَةِ اللَّه**؟" (١تى ٣ : ٤ ـ ٥).
- ولعلنا نلاحظ وجود عِدّة شروط للأسقفية ولكن أهمها الأبوَّة الناجحة بدليل أنها الشرط الوحيد الذي علّق عليه معلمنا بولس الرسول قائلاً: "**وإنَّما إن كانَ أحَدٌ لا يَعرِفُ أن يُدَبِّرَ بَيتَهُ، فكيفَ يَعتَني بكَنيسَةِ اللَّه**؟".

الرسالة الأولى والأكثر أهمية لكل أب هى الأبوة:

وهنا أسأل عن الأبوة بمفهومها الشامل:

- ماذا عن أب يعمل أغلب الوقت وقد لا يرى أبنائه بالأيام لأنه يأتي بعد نومهم وربما يخرجون هم لمدارسهم وهو لا زل نائماً.
- وماذا عن أب يهاجر إلى بلاد بعيدة وعندما نسأله: لماذا يهاجر؟ يُجيب: لأجل أولادي، لأجل حياة أفضل لهم. وفي المهجر يغرق في دوامات عديدة، فيبدأ بالعمل لساعات طويلة ربما هذا لأجل معادلة شهادته، وبعدها يعمل لساعات أطول حتى يعوّض ما فاته ويسدّد ديونه، ثم يشتري بيتاً عوض الإيجار، ثم

يغيّر سيارته بأحدث، منها ثم يشتري سيارة لزوجته ... وهكذا من دوّامة إلى أخرى. وبعد سنوات تسأله عن حال أولاده فيُجيب: ضاعوا، ويبرر ذلك بأن الكنيسة أهملت في خدمتهم.

أقول لمثل هذا الأب: لقد هاجرت بحثاً عن حياة أفضل من جهة الدّخل المادي ومستوى المعيشة ولم تفكّر في الهدف الأسمى وهو خلاص نفوس أبنائك، وأقول له: لا تلوم الكنيسة بل نفسك فأنت المسئول الأول عن أبنائك ودور الكنيسة مكمّل لدورك بدليل نجاح وتميز الكثير من أبناء نفس الكنيسة عكس ما قد حدث لأبنائك، فالمشكلة تكمن فيك وليس الكنيسة.

ـ وماذا عن أب يعمل في الخليج تاركاً أولاده في مصر، فدوره أن يعمل في الخليج لأجل توفير المال ليوفّر لهم حياة أفضل من غيرهم، ولكن الكثير من الآباء عاشوا في مصر ليوفروا لأبنائهم حياة روحية أفضل من غيرهم. أقول لهذا الأب "**لأنهُ ماذا ينتفعُ الإنسانُ لو ربـح العـالَمَ كُلـهُ وخسر نفسـهُ؟**" (مت ١٦: ٢٦)، اهتم بكل شيء نافع وبكل أحد يحتاجك ولكن ليس على حساب رسالتك الأبوية فهى الأكثر أهمية ولها الأولوية.

أولادك هم هدفك الأول ومسئوليتك الأولى:

ـ فلا تدع عملك يشغلك عن أولادك.

ـ لا تدع خدمتك بالكنيسة وللكنيسة تشغلك عن أولادك.

ـ لا تدع الأصدقاء يشغلونك عن أولادك.

ـ لا تدع الاهتمام بأقاربك يشغلك عن أولادك.

ـ لا تدع هواياتك تشغلك عن أولادك.

ـ لا تدع خدمة المجتمع تشغلك عن أولادك.

الأبناء يحتاجون عاطفة وحكمة بل وحزم الأب أكثر بكثير من المال، فهذه الأمور قد تغني عن كثرة المال ولكن كثرة المال لا يغني عنهم.

الأبوة مسئولية روحية وجسدية معاً:

بعد المعمودية صارت مسئولية الآباء والأمهات مضاعفة، فهى مسئولية روحية وجسدية. فبعد المعمودية صار كل منهما وصياً وإشبيناً ووكيلاً عن الأبناء، وسيطالب بحساب الوكالة في نهاية الأيام. فالأبناء وزنة لا بد أن نعطي عنها حساباً، وعلى الآباء ألاّ ينسوا أن الحياة بالجسد قد تمتد لعشرت السنوات، أمّا حياة الروح بعد الانطلاق من الجسد بالموت حياة ممتدة ودائمة بلا نهاية. فعلى الآباء ألاّ يهتموا باحتياجات الجسد من طعام وملبس وتعليم دون الاهتمام بغذاء الروح، لأن الجسد بطعامه وملبسه وأفكاره سيتبدّل ويزول، ولكن الروح باقية ومصيرها الأبدي يتوقّف على دور البيت، الأب قبل الأم.

الأبدية الروحية هى الأسمى:

لقد وضع المجتمع الأب الكاهن في مرتبة سامية يتميز بها عن آباء الجسد بسبب أبوته الروحية، فرسالته أسمى لأنه يقدم غذاء الروح ويهيئ الإنسان للحياة الأبدية، وهكذا تسمو درجة أبوة كل أب جسدي بما يتناسب مع حجم عطائة الروحي لأبنائه.

لعلنا نتذكّر أن الابن يمكنه أن يتحدّث مع الأب الكاهن بما لا يمكنه التحدُّث فيه مع الأب الجسدي، وهكذا يمكن للابن أن ينفتح في حديثه مع أبيه الجسدي على قدر قامة الأب الروحية ودوره الروحي المؤثر في حياة ابنه ... وما أقوله على الأب في ذلك أقوله على الأم.

الأبوة الروحية هى الأصعب:

من السهل تربية الأبناء وتعليمهم ليخرج منهم المهندس والطبيب، ولكن الأصعب أن نربي أبنائنا ونعدّهم للميرث الأبدي. ما أكثر المهندسين والأطباء، ولكن ما أقل الذين تم تأهيلهم وإعدادهم روحياً، فصاروا أهلاً لطريق الرهبنة أو الكهنوت.

وهنا نتذكّر كلام القديس أغسطينوس الذي كان يناجي اللّه به متحدّثاً عن أبيه فقال: "ليس لأحد أن يقدّم سوى المدح لأبي، الذي رغم ضآلة موارده كان مستعداً أن يزود ابنه بكل ما يحتاج إليه. كثيرون من رجال مدينتنا يفوقون أبي جداً في الثراء، ولكنهم لم يقدّموا مثل هذه التضحية من أجل أبنائهم ... فقد اهتم أن يكون لي لسان فصيح تاركاً قلبي لا يحمل أي شيء من ثمارك يا إلهي".

أخي الحبيب، هذا ما سيقوله عنك ابنك إن أحسنت تعليمه ولم تحسن تنشئته روحياً، وثق أن مكافأة اللّه لك في الأبدية هى بالأكثر على اهتمامك الروحي بابنك. فرسالتك الأولى أن تربط أبناءك بالمسيح، رسالتك الأولى أن تعمل بما يورثهم ملكوت السموات وليس كثرة الأموال والممتلكات.

أخي العزيز احذر ... فهناك أتقياء كثيرون لم ينجحوا في أبوّتهم الروحية رغم تقواهم ورغم خدمتهم الروحية للآخَرين:

١ـ عالي الكاهن:

+ كان عالي الكاهن خادماً أميناً:

فكان يجلس على قائمة الهيكل يراقب المصلين "... **وعالي الكاهِنُ جالِسٌ علَى الكُرسيِّ عِندَ قائمَةِ هيكلِ الرَّبِّ**" (١ صم ١ : ٩). وعندما كانت حنه أم صموئيل تصلي، قيل عن عالي الكاهن "**وكانَ إذ أكثَرَتِ الصَّلاةَ أمامَ الرَّبِّ وعالي يُلاحِظُ فاها. فإنَّ حَنَّةَ كانَتْ تتكلَّمُ في قَلبها، وشَفَتاها فقط تتحَرَّكان، وصوتُها لم يُسمَعْ**" (١صم ١ : ١٢، ١٣). وهنا نلاحظ التدقيق في أداء خدمته حيث كان يلاحظ المُصلّين ويلاحظ حركة شفاههم. وعندما رآها على هذا الحال نقرأ: "**إنَّ عالي ظَنَّها سَكرَى**" فكان رد فِعل عالي قوياً فقال لها: "**حتَّى مَتَى تسكَرينَ؟ انزِعي خمرَكِ عنكِ**" (١صم ١: ١٣ـ ١٤). وهنا نلاحظ أمانة عالي الكاهن في أداء رسالته من خلال:

١) الجلوس على الكرسي عند قائمة هيكل الرب لمتابعة المصلّين.
٢) الملاحظة الشديدة للمصلّين بما في ذلك حركة شفاههم.
٣) التوجيه السريع والقوي للمصلين عند ملاحظة أمر غريب.

+ كان أميناً على خدمته ولم يكن أميناً على بيته:

فلقد قيل عن أبنائه: **"وكان بنو عالي، بني بَليَّعال، لم يَعرِفوا الرَّبَّ ولا حَقَّ الكهنةِ مِنَ الشَّعبِ. كُلَّما ذبَحَ رَجُلٌ ذَبيحَةً يجيءُ غُلامُ الكاهِنِ عند طَبخِ اللَّحمِ، ومنشالٌ ذو ثلاثةِ أسنانٍ بيده، فيَضرِبُ في المِرحَضَةِ أو المِرجَلِ أو المِقلَى أو القِدرِ. كُلُّ ما يَصعَدُ بهِ المِنشَلُ يأخُذُهُ الكاهِنُ لنَفسِهِ. هكذا كانوا يَفعَلونَ بجميعِ إسرائيل الآتين إلى هناك في شيلوه. كذلكَ قَبل ما يُحرِقونَ الشَّحم يأتي غُلامُ الكاهنِ ويقول للرَّجُلِ الذّابحِ: أعطِ لَحماً ليُشوَي للكاهِنِ، فإنَّهُ لا يأخُذُ مِنكَ لَحماً مَطبوخاً بل نيئاً. فيقولُ لهُ الرَّجُلُ: ليُحرِقوا أوَّلاً الشَّحمَ، ثُمَّ خُذْ ما تشتَهيهِ نَفسُكَ. فيقولُ لهُ: لا، بل الآنَ تُعطي وإلاّ فآخُذُ غَصباً. فكانت خَطيَّةُ الغِلمانِ عظيمَةً جِدّاً أمام الرَّبِّ، لأنَّ الناس استَهانوا بتقدِمَةِ الرَّبِّ"** (١ صم ٢ : ١٢ ـ ١٧). لقد ذكر الكتاب تفاصيل خطاياهم التي سبّبت عثرة وسط الشعب، فكانوا قدوة سيئة لهم. وأضيف إلى شرهم أنهم **"كانوا يُضاجِعونَ النِّساءَ المُجتَمِعاتِ في بابِ خَيمَةِ الاجتِماعِ"** (١صم ٢ : ٢٢).

+ وماذا عن عالي الكاهن:

أ) كان هو المسئول الأول عما وصل إليه أولاده، فلقد انشغل بالخدمة عن تربية أولاده.

ب) كان ردّ فِعله ضعيف رغم معرفته بكل شيء، فلم نقرأ عنه سوى كلمات ضعيفة جداً وجهها لأولاده: **"لماذا تعمَلونَ مثل هذه الأُمورِ؟ ... لا يا بَني، لأنَّهُ ليس حسَنا الخَبَر الذي أسمَعُ"** (١ صم ٢ : ٢٣ ـ ٢٤).

لقد تكلَّم ولكنه تكلَّم متأخراً.

نعم تكلَّم ولكنه تكلَّم بضعف. نعم تكلَّم ولكنه لم يأخذ موقفاً حاسماً.

نعم تكلَّم ولكنهم لم يسمعوا له.

"ولم يسمَعوا لصوتِ أبيهِمْ" (١ صم ٢ : ٢٥).

+ رد الفعل إلهي:

بالتأكيد اللَّه لا يقبل تدنيس هيكله بسبب أبناء الكاهن، اللَّه لن يقبل هذا الموقف الضعيف للكاهن تجاه أولاده، لذا توالت العقوبات الإلهية على عالي الكاهن وكان رد الفِعل الإلهي: **"لذلكَ أقسَمتُ لبَيتِ عالي أنَّهُ لا يُكَفَّرُ عن شَرِّ بَيتِ عالي بذَبيحَةٍ أو بتقدِمَةٍ إلَى الأبدِ"** (١ صم ٣ : ١٤).

+ ماذا كانت النهاية:

- هزيمة بني إسرائيل.
- أخذ الفلسطينيون تابوت العهد.
- موت ابني عالي الكاهن حفني وفينحاس.
- في النهاية سقط عالي عن كرسيه وكُسِرَت رقبته مما أدى إلى موته.

بلا شك أنها قصة مريعة توضح خطورة انشغال الخادم بخدمته عن بيته.

أيها الخادم العزيز خدمتك لبيتك هى مسئوليتك الأولى.

٢- صموئيل النبي:

لقد كان صموئيل النبي بارّاً منذ طفولته:

- فلقد جاء للعالم كثمرة لصلاة أمه التقية.
- نذرته أمه لخدمة هيكل الرب منذ صغره.
- في الهيكل كان الرب يتكلَّم إليه.
- قيل عنه: **"وكَبِرَ صَموئيلُ وكانَ الرَّبُّ معهُ، ولم يَدَعْ شَيئاً مِنْ جميعِ كلامِهِ يَسقُطُ إلى الأرضِ. وعَرَفَ جميعُ إسرائيلَ مِنْ دانَ إلى بئرِ سبعٍ أنَّهُ قد اؤتُمِنَ صَموئيلُ نَبيّاً للرَّبِّ"** (١ صم ٣ : ١٩ ـ ٢٠).
- كان صموئيل قاضياً للشعب بكل أمانة. ولكننا نقرأ: **"وكان لمّا شاخَ صَموئيلُ أنَّهُ جَعَلَ بَنيهِ قُضاةً لإسرائيلَ. وكانَ اسمُ ابنِهِ البِكرِ يوئيلَ، واسمُ**

ثانيهِ أبيّا. كانا قاضيَينِ في بئرِ سبعٍ. ولم يَسلُكِ ابناهُ في طريقِهِ، بل مالا وراءَ المَكسَبِ، وأخَذا رَشوَةً وعَوَّجا القَضاءَ " (١ صم ٨ : ١ ـ ٣).

وكانت النتيجة: تحوّل كامل في تاريخ بني إسرائيل لينتهي عصر القضاة ليبدأ عصر المملكة، وكانت البداية بشاول الملك، وكان السبب الرئيسي في ذلك هو رفض الشعب لأبناء صموئيل.

لقد خدم صموئيل الرب بأمانة منذ طفولته، ولكنه لم يهتم بأبنائه بنفس الدرجة. لذا لم يأخذوا شيئاً مما لأبيهم من خصال.

٣- داود النبي:

حتى داود النبي الذي قال عنه الرب: "**وجَدتُ داوُدَ بنَ يَسَّى رَجُلاً حَسَبَ قَلبي، الذي سيَصنَعُ كُلَّ مَشيئَتي**" (أع ١٣ : ٢)، "**قد انتَخَبَ الرَّبُّ لنَفسِهِ رَجُلاً حَسَبَ قَلبِهِ**" (١صم ١٣ : ١٤).

وبالرغم من كل ما كان في حياة داود النبي العظيم من تميز إلاّ أننا نسمع عن الكثير من الشرور في أبنائه (كأبشالوم وأدونيا)، وقد عانى داود بنفسه الكثير منها. وهنا أكرر تحذيري لكل أب ...

أحذر أن يشغلك أحد أو شيء عن أولادك

الأبوة مخاض دائم:

نقرأ لمعلمنا بولس الرسول: "**يا أولادي الذينَ أتمَخَّضُ بكُمْ أيضاً إلَى أنْ يتصَوَّرَ المَسيحُ فيكُم**" (غل٤ : ١٩). وهنا يتخيل معلمنا بولس الرسول آلام المرأة وقت الولادة (مخاض المرأة) ويرى نفسه كأب روحي يشارك الأم آلامها لأجل الولادة الروحية لأبناء المسيح، فإن كانت الأم تتألم لساعة حتى تلد ابناً فمعلمنا بولس الرسول عاش المخاض الدائم (الآلام الدائمة) حتى يعيد صورة السيد المسيح إلهنا لكل إنسان.

وهنا أقول لكل أب:

- الأم تتعب لساعة وقت الولادة، ولكن عليك أن تتعب كل ساعة لأجل أبنائك.
- الأم تتعب لساعة لتلد ابناً يحمل اسم أبيه، والأب يتعب كل ساعة حتى يحمل ابنه اسم السيد المسيح.
- الأم تتعب لساعة لتلد ابناً يشبه أبيه، والأب يتعب كل ساعة ليعيد لابنه صورة اللَّه ومثاله.
- الأم تتألم لساعة لتلد ابناً يرث أبيه، والأب عليه أن يتألم مجاهداً كل ساعة ليؤهِّل ابنه لميرث الملكوت.

الأبوة قيادة روحية:

وهنا أُكرر تذكير الأب بالحُلّة الكهنوتية التي ارتداها أمام هيكل اللَّه وقت الإكليل لتأكيد دوره الروحي في قيادته لأسرته في طريق الخلاص.

فالأبوة تعني القيادة الروحية للأسرة:

- في الصلوات اليومية في البيت.
- في القراءات الروحية وخاصة القراءة اليومية للكتاب المقدَّس مع أسرته.
- في الحوار الروحي الدائم لبناء أسرته روحياً.

الأبوة مشاركة فعالة:

على الأب أن يشعر بأهمية دوره في متابعة أولاده متابعة دقيقة فعلية:

المشاركة والمتابعة تعني:

- متابعة درسية:

على مستوى المدرسة.

على مستوى المذاكرة في البيت.

على مستوى الدروس الخصوصية.

ـ مشاركة ومتابعة لممارسة الهوايات:

- في البيت.
- في الكنيسة.
- في المدرسة.
- في الأندية أو مركز الشباب.

ـ متابعته لابنه ولأصدقائه لتأثره بهم:

والأب المثالي هو الذي يشارك الأبناء ويشترك معهم في كل اهتماماتهم.
وهو الذي يكون صديقاً لأبنائه بل وصديقاً لأصدقائهم.

الأبوة يقظه ورقابه ومتابعة
- داخل البيت.
- خارج البيت
  - مع الأصدقاء.
  - مع المدرسين.
  - مع خدام مدارس الأحد.
  - مع الأب الكاهن.

عليه أن يسأل كل من يتعامل مع ابنه عن ابنه.
عليه أن يسعى أن يكون على علاقة طيبة بكل من يتعامل مع ابنه.
عليه أن يكون على تواصل دائم مع ابنه ومع كل من يتعامل مع ابنه قدر الإمكان.

وهنا أقول لكل أب: كن شريكاً في اختيار وفي صُنع أصدقاء ابنك في صغره، لأنه لن يكون لك دورً في ذلك عندما يكبر. وثق أن أصدقاء الصغر هم بالنسبة له أغلب أصدقاء الكبر. وأن تأثير الأصدقاء عليه في فترة من الفترت سيفوق تأثيرك عليه.

لذا، فعليك أن تهتم باختيار أصدقائه وأن تكون علاقتك طيبة بهم حتى تضمن مناخاً طيباً ينشأ فيه ابنك.

الأبوة تواصل مع مجتمع الابن من حيث
- المتغيرات الاجتماعية المتلاحقة.
- المتغيرات التكنولوجية السريعة.

فلا بد أن تكون مُلمّاً بالوسط الذي يُحيط به، وعليك أن تطور من استخدامك للتكنولوجيا الحديثة بما يؤهلك لمتابعته.

وهنا أتذكّر قصة حدثت منذ سنوات عديدة لأب مبارك في الخمسين من عمره، وكان بطبيعة عمله مشغولاً إلى أبعد حد حيث يملك ويدير صيدلية. وفي ذلك الوقت كان ابنه يدرس الثانوية العامة حسب النظام الإنجليزي (IG)، وكان عليه أن يدرس منهجاً خاصاً بالكمبيوتر، وكان الابن يتلذذ بتفرُّغ الأب له ليقوم بدور المدرس الخصوصي لأغلب المواد، وبالتالي ـ وبروح المسئولية ـ كان على الأب التفرُّغ لمذاكرة كُتب ابنه الدراسية حتى يفهمها جيداً حتى يمكنه تبسيطها لابنه. وكان الأب يقوم بهذا الدور بجدارة في كل المواد. ولكن كانت العقبة الكبيرة هى مادة الكمبيوتر. فالأب في ذلك الوقت لم يكن قد تعامل نهائياً مع الكمبيوتر ولم يقرأ عن الكمبيوتر، ولكن في حبٍ وبذلٍ قام بدراسة منهج الكمبيوتر وبذل فيه جهداً حتى أستوعبه وقام بتدريسه لابنه ليحصل ابنه في الكمبيوتر على (+ A) أي درجة الامتياز.

أخي العزيز، هذه هى الأبوة الواعية والمحبة الباذلة.

أخي العزيز، الأبوة هى مسئوليتك ورسالتك السامية، وهى وزنتك التي ستعطي عنها حساباً أمام اللَّه.

الأم ودورها ومكانتها

إذا كان الأب هو رأس الأسرة ومن المفترض أنه القائد والرائد والمدير في البيت، فإن الأم هى قلب الأسرة النابض بالحب والحنان.

كرامة المرأة مضاعفة بسبب أمومتها:

- لمكانة الأم دُعيت الكنيسة أماً لنا، فكما نولَد من رحم الأم جسدياً نولَد أيضاً من رحم الكنيسة (المعمودية) روحياً. وكما تهتم الكنيسة بكل الحب لتقدم غذاء الروح لكل إنسان فتقدم لهم وسائط النعمة، هكذا الأم تفيض حباً وتبذل حياتها لتوفير وسائط الحياة لأبنائها.
- لمكانة الأم شبّه السيد المسيح نفسه في محبته وحنانه واهتمامه بنا بأمومة الدجاجة: " ... **كَمْ مَرَّةٍ أردتُ أن أجمَعَ أولادَكِ كما تجمَعُ الدَّجاجَةُ فِراخَها تحتَ جَناحَيها...** " (مت ٢٣ : ٣٧).

علاقة السيد المسيح بأمه العذراء مريم تبرز مكانة الأم:

١) في سن ١٢ سنة:

نقر عن علاقته بالسيدة العذراء مريم ويوسف النجار "**ثم نزل معهما وجاءَ إلى النّاصرة وكان خاضعا لهما**" (لو ٢ : ٥١). فالإله الذي صار في الهيئة كإنسان، الإله الخالق، يخضع للمخلوق للعذراء مريم خضوع البنوة لأنها هى التي ولدته واهتمت به في طفولته.

٢) في عرس قانا الجليل (يوحنا ٢):

عندما ذهبت العذراء مريم إلى عُرس في قانا الجليل وكان رب المجد يسوع المسيح مدعواً أيضاً ولم يكن قد بدأ يسوع خدمته بعد. في هذه القصة نقر ولأول مرّة عبارة: (أم يسوع)، "وكانت أم يسوع هناك"، مما يعطي إشارة أن أمومتها

ليسوع لها دوراً واضحاً في هذه القصة، وتكرر الأمر في عبارة: **"ولمّا فرَغَتِ الخمرُ، قالَت أُمُّ يَسوع له: ليس لهُمْ خمرٌ"** (يو ٢ : ٣). وفي هذه القصة نرى مكانة العذراء مريم السامية لدى السيد المسيح كأم له من خلال معجزة تحويله الماء إلى خمر من خلال عدة أمور:

١ـ السيد المسيح يحوّل الماء إلى خمر بالرغم أنها لم تطلب منه صراحةً هذا الأمر، بل أخبرته فقط بالأمر **"ولمّا فرَغَتِ الخمرُ، قالَت أُمُّ يَسوع له: ليس لهُمْ خمرٌ"** (يو ٢ : ٣).

٢ـ إن المعجزة قد تمَّت لأجل أُمَّه بالرغم من أنه لم يبدأ خدمته بعد، ولم يفعل أي معجزة من قبل، وهو ما أكده لها في عبارته: **"ما لي ولكِ يا امرأةُ؟ لم تأتِ ساعَتي بَعدُ "** (يو ٢ : ٤)، وأيضاً قول الكتاب بعد إتمام المعجزة: **"هذه بدايَةُ الآياتِ فعَلها يَسوعُ في قانا الجليلِ، وأظهَرَ مَجدَهُ، فآمَنَ به تلاميذُهُ"** (يو ٢ : ١١).

٣ـ كانت المعجزة بشكلٍ يتناسب مع مكانة الأم من جهة كمية الخمر ونوعيته:

- الكمية: **"وكانت سِتَّةُ أجرانٍ من حِجارَةٍ مَوْضوعَةً هناك، حَسَبَ تطهيرِ اليهودِ، يَسَعُ كُلُّ واحِدٍ مِطرَينِ أو ثَلاثَةً. قال لهُمْ يَسوعُ: املأُوا الأجران ماءً. فمَلأُوها إلى فوقُ"** (يو ٢ : ٦ ـ ٧).
- النوعية: فكانت الخمر جيدة بشهادة رئيس المتكأ **"دَعا رَئيسُ المُتَّكأ العَريسَ وقالَ لهُ: كُلُّ إنسانٍ إنَّما يَضَعُ الخمر الجَيِّدَةَ أولاً، ومتى سكِروا فحينَئذٍ الدّونَ. أمّا أنت فقد أبقَيتَ الخمرَ الجيِّدة إلى الآن!"** (يو ٢ : ٩ ـ ١٠).

ولقد كانت العذراء مريم تُدرك مكانتها كأم لدى السيد المسيح، فبالرغم من قوله لها: **"لم تأتي ساعتي بعد"** إلا أنها وجّهت كلامها للخدم قائلة: **"مهما قال لكم فافعَلُوه"** (يو ٢ : ٥).

٣) عند الصليب (يوحنا ١٩):

وكان وقت الساعة السادسة والسيد المسيح معلقاً على عود الصليب، فلم تشغله آلام الصلب أو آلام الموت عن أمه، ولم يشغله وهو البار الذي بلا خطية

وهو يحمل خطايا العالم كله عن اهتمامه بأمه، ولم يشغله الاهتمام بخلاص المسكونة عن راحة أمه. فنقرأ في إنجيل يوحنا: **"فلَمّا رأَى يَسوعُ أُمَّهُ، والتِّلميذَ الذي كانَ يُحِبُّهُ واقِفاً، قالَ لأُمِّهِ: يا امرأةُ، هوذا ابنُكِ. ثُمَّ قالَ للتِّلميذِ: هوذا أُمُّكَ. ومن تلكَ السّاعَة أخَذها التِّلميذُ إلى خاصَّتِهِ"** (يو ١٩ : ٢٦ ـ ٢٧).

علاقة الملك سليمان بأمه تُبرز مكانة الأم (١مل ٢):

وحتى نفهم الأمر علينا أن نُدرك أنه في أيام سليمان كان الملك يمارس سلطات حكمه في بهوٍ متَّسعٍ، ويجلس الملك على عرشه في مكان مرتفع بحيث لا يوجد أي مقعد في البهو إلا الذي يجلس عليه الملك، وكان على كل من يتقابل مع الملك أن يسجد أمامه أولاً وبعدها يتحدّث إليه وهو واقف، فلا مكان لجلوس أحد سوى الملك وحده وهنا نقرأ: **"فدَخَلت بَثشَبَعُ إلى المَلِكِ سُلَيمانَ لتُكلِّمَهُ عن أدونيّا. فقام المَلِكُ للقائها وسجَدَ لها وجَلَسَ على كُرسيِّه، ووضَعَ كُرسيّاً لأُمِّ المَلِكِ فجَلَسَتْ عن يَمينِهِ"** (١مل ٢ : ١٩).

وهنا نرى أن الملك الذي يُسجَد له من كل أحد، يسجد أمام أمه.

الملك الذي لا يجلس أي أحد في حضرته، يُجلس أمه عن يمينه.

ها هو الملك صاحب المكانة السامية يتنازل متضعاً أمام أمه ... إنها رسالة أوجهها لكل ابن:

> **أرجوك ألاّ يؤثر عليك مركزك أو مالك في علاقتك بأمَّك، فلها منك كل تكريم واحترام مهما كانت مكانتك.**

مكانة الأم من خلال الوصايا الإلهية:

ما أكثر الوصايا الإلهية التي تحدّد لنا مسار علاقاتنا بأمهاتنا:

وهنا أركّز في أمرين:

- وصايا تطالبنا بتكريمها وطاعتها.
- وصايا تحمل عقوبات مشدّدة وقاسية لمن يسيء لوالديه بما فيهم أمه.

١) تكريم وطاعة الأم:

أ- أهم الوصايا وأولها هى تلك الوصية التي كتبها اللَّه بإصبعه في لوحي الشريعة: "**أكرِم أباك وأُمَّكَ لكَي تطول أيّامُكَ على الأرضِ التي يُعطيكَ الرَّبُّ إلهُكَ**" (خر ٢٠ : ١٢).

وكانت
- أول وصايا اللوح الثاني.
- أول الوصايا الخاصة بالعلاقات البشرية.
- الوصية الوحيدة المرتبطة ببركة إلهية مُعلنة.

ولأهمية هذه الوصية نجدها تتكرر في (تث ٥ : ١٦) ونجد أن السيد المسيح يشير إليها نقلاً عن (تث ١٥ : ٤ ـ ٦) ونجده يُعلِّم بها في حديثه للشاب "**أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ**" في (مت ١٩ : ١٩)، وهكذا في (مر ٧ : ١٠) (لو ١٨ : ٢٠)، ونجد بولس الرسول يُعلِّم بها قائلاً: "**أيُّها الأولادُ، أطيعوا والديكُمْ في الرَّبِّ لأنَّ هذا حَقٌّ. أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ، التي هى أوَّلُ وصيَّةٍ بوَعدٍ، لكَيْ يكونَ لكُمْ خَيرٌ، وتكونوا طوال الأعمارِ على الأرضِ**" (أف ٦ : ١ ـ ٣).

ب ـ ونجد الكثير من التعاليم والوصايا الخاصة بالأم مرتبطة بوصايا الأب في تعاليم سليمان الحكيم. منها: "**اسمَعْ يا ابني تأديبَ أبيكَ، ولا ترفُضْ شَريعَةَ أُمِّكَ، لأنَّهُما إكليلُ نِعمَةٍ لرأسِكَ، وقَلائدُ لعُنُقِكَ**" (أم ١: ٨)، ولأهمية هذه الوصية نجد سليمان الحكيم يكررها في موضع آخِر (أم ٦ : ٢٠). وهنا يريد سليمان الحكيم أن يؤكد على أن وصايا الوالدين ترفع من شأنك وترفع من قامتك كأكاليل نعمة وبركة "**إكليلُ نعمةٍ لرأسكَ**" وبها يتجمَّل الإنسان أمام اللَّه والناس "**قَلائدُ لعنقكَ**".

ومن هذه التعاليم "**اسمَعْ لأبيكَ الذي ولَدَكَ، ولا تحتَقِرْ أُمَّكَ إذا شاخَتْ**" (أم ٢٣ : ٢٢). وهنا يؤكد سليمان الحكيم على حتمية طاعة الأب، فهو سبب حياته، ولولاه لما كان موجوداً على الأرض (الذي ولَدَكَ)، ويؤكد على احترام كل أحد لأمه مهما كبرت وشاخت، مهما ضعفت وضعف إدراكها وقدرتها على التوجيه فهى سر حياته من خلال عمل اللّه.

٢) تعاليم تحمل عقوبات مشدّدة وقاسية لمن لا يكرم والديه:

أـ كانت العقوبات في العهد القديم عقوبات أرضية واجبة التنفيذ على الأرض مضافاً إليها العقوبة السمائية، ولقد ارتبطت أقسى العقوبات الأرضية بالإساءة للأب والأم، ومن هذه التعاليم التي تحمل عقوبات واجبة النفاذ:

"**ومَنْ ضَرَبَ أباهُ أو أُمَّهُ يُقتَلُ قَتلاً**" (خر ٢١ : ١٥).

"**ومَنْ شَتَمَ أباهُ أو أُمَّهُ يُقتَلُ قَتلاً**" (خر ٢١ : ١٧).

وتتأكد الوصية الأخيرة لشدتها مرة ثانية في سفر اللاويين "**كُلُّ إنسانٍ سبَّ أباهُ أو أُمَّهُ فإنَّهُ يُقتَلُ. قد سبَّ أباهُ أو أُمَّهُ. دَمُهُ علَيهِ**" (لا ٢٠ : ٩)، وهنا تؤكد الوصية أنه لا استثناء من العقوبة، فهى واجبة على الكل. ولتأكيد العقوبة تكرر الوصية عبارة (قد سبَّ أباهُ أو أُمَّهُ. دَمُهُ علَيهِ) لتأكيد أنها جريمة شنيعة تستلزم عقوبة الإعدام لمن يرتكبها.

ب ـ ونقرأ أيضاً لسليمان الحكيم "**مَنْ سبَّ أباهُ أو أُمَّهُ يَنطَفِئُ سِراجُهُ في حَدَقَةِ الظَّلامِ**" (أم ٢٠ : ٢٠). أي أنه يفتقد للنور وقت الظلمة، يفتقد للنعمة وقت الضيقة، يفتقد لكلام الحكمة وقت الاحتياج ... لأنه خسر مصدر نعمته (أباه وأمه)، وخسر معونة اللّه له كعقوبة له بسبب شرِّه.

جـ ـ ويصوِّر سليمان الحكيم بشاعة نتائج احتقار الابن لوالديه وعدم طاعتهم في قوله: "**العَينُ المُستَهزِئَةُ بأبيها، والمُحتَقِرَةُ إطاعَةَ أُمِّها، تُقَوِّرُها غُربانُ الوادي، وتأكُلُها فِراخُ النَّسرِ**" (أم ٣٠ : ١٧)، أي أنه يعاني في الوادي وفي البرية، يعاني في حياته وفي موته.

ولكن قد يسأل البعض: لماذا كل هذه القسوة؟

وهنا نقول أن ما تقدِّمه الأم لأبنائها، لا يمكن أن يقدِّمه أي إنسان. ليس فقط لأنها حملته في أحشائها تسعة أشهر، أو أنها غذته من غذائها بإرضاعه اللبن من ثدييها، بل أيضاً لسهرها وتعبها لأجل إرحته على مدى سنوات طويلة. ولا يجد الابن والابنة من هم أكثر حنواً عليهم غير الجدّة التي تسهر لتشارك أولادها بروح الأمومة الناضجة في تنشئة الأبناء.

ويمكننا أن ندرك أهمية دور الأم عندما نمر على ملاجئ الأيتام وخاصة في البلاد الفقيرة نسبياً: كمصر، والهند وغيرها. حيث نلاحظ الآتي:

+ الفشل الذريع في التنشئة النفسية والروحية والعلمية للأطفال في وجود مشرفة واحدة على الدار، أو لتبادل المشرفات على مدى ساعات الليل والنهار حيث يفتقد الأطفال للأمومة الحانية، فتركز الأم على عدد محدود من أبنائها. ولقد أدى ذلك إلى تطوير دور الأيتام بحيث يعيشون جو الأسرة، حيث يتم تخصيص وحدة سكنية لمشرفة مقيمة تعيش كأم مع أربعة أو خمسة من الأبناء متفاوتي الأعمار، وهذا نلاحظه في مصر في مشروعات قرى SOS .

+ نلاحظ أيضاً عدم قدرة الأب على القيام بمهام الأم في حين يمكن للأم أن تقوم بمهام الأب. وهنا أتذكر قصة أب لثلاثة أولاد تتروح أعمارهم من ٦ ـ ١٠ سنوات، جاءني يشكو من إهمال زوجته لكل شيء كإهمالها لنظافة البيت، لواجباتها نحو الأولاد وواجباتها نحوه. يشكو من شقاوة الأولاد ومن شكاوى مدرسيهم منهم وهكذا خدامهم بالكنيسة. وجاءني يطلب الانفصال عن هذه الزوجة المهملة. ففاجأته باقترح بديل وهو أن يعطيها إجازة ثلاثة أسابيع تذهب فيهم إلى مصر عند أهلها، ويتفرغ هو من عمله في هذه الأسابيع الثلاثة ليركّز في إصلاح ما أفسدته الأم في تربية أولادها، على أن يهتم بإعادة تنظيف وترتيب المنزل وفقاً لرؤيته. وفي نهاية اقترحي أخبرته أنه قبل نهاية الأسابيع الثلاثة سوف يلحق بزوجته في مصر، ولكن على مستشفى العباسية ... وهنا أدرك ما أعنيه وهو صعوبة اهتمام الأم وحدها بثلاثة أولاد في هذا السن، فلقد كان على الزوج أن

يشارك زوجته في الاهتمام بهم. وهنا أقول لكل زوج: إن ما تقوم به الزوجة يصعب قيامك به وحدك، فلا بد من أداء دورها على أن يكون دورك مُكَمِّل لدورها.

وهنا نُدرك حتمية زواج الأب الأرمل، فيندر ألا يتزوج أب أرمل، ويندر أن تتزوج أم أرملة، لأن الأم يمكنها أن تقوم بدور الأب والأم معاً، أمَّا الأب فلا يمكنه ذلك، لذا يحتاج لأم بديلة مما يدفعه للزواج.

وهنا أتذكر قصة قديمة من الهند سبق أن قرأتها. في هذه القصة قرأت عن اهتمام مجموعة من الراهبات الكاثوليك بأطفال الشوارع، حيث أنشأوا دور إيواء لرعايتهم، يهتمون فيها بتقديم الملبس النظيف والمأكل الصحي، بالإضافة للرعاية الصحية والتعليمية. ولكن المسئولين لاحظوا سلوك غريب من أحد الأطفال، فكلما وجدوه وأعادوه للدار يهرب منها ... وبعد فترة اضطروا لمراقبته، وأخيراً عثروا عليه نائماً في البرد تحت شجرة في حضن امرأة فقيرة رثة الثياب، وإلى جوارها آنية فخارية وبعض بقايا الطعام التي جمعتها هذه المرأة من القمامة، وأخيراً اكتشفوا أنها أمه.

إنه لأمر عجيب ... هل يترك الدار النظيفة لينام في العراء؟ يترك الطعام الصحي والنظيف ليأكل طعام تم جمعه من القمامة؟ يترك السرير لينام على الأرض؟ ولكن بتحليل الأمر نجد أن الطفل مستعد أن يضحي بأي شيء مقابل أحضان أمه، ففي الدار وجد كل شيء، ولكنه لم يجد عاطفة الأمومة، فترك كل شيء لأجلها.

هذه هى الأم ومكانتها.

فالأمومة ← حب دائم حتى الشيخوخة.
← حب باذل بلا حدود.

ولكن هذا الحب يجب أن يكون:

- حب عاقل يُحَكِّم العقل والعاطفة معاً في رعاية الأبناء.
- حب غير مميز بين ا

ـ حب غير مُسيطر.

وسوف نتعرّض لهذه الأمور تفصيلاً في فصول تالية من الكتاب.

ولكي يكون دور الأم فاعلاً ومؤثراً ينبغي أن يتحلّى:

ـ بفيض العاطفة.

ـ بالدرسة والعِلم والمعرفة لطبيعة الطفل واحتياجاته.

ـ الصداقة لأبنائها وخاصةً البنات.

فعلى الأم أن تُنمّي صداقتها بأبنائها وخاصةً بناتها بالآتي:

١) بمشاركتهم في أنشطتهم المختلفة داخل البيت وخارجه.

٢) بكلامها معهم عن نفسها في حدود استيعاب أعمارهم حتى تشجعهم أن يصارحوها هم أيضاً بمشاكلهم واحتياجاتهم.

٣) بصداقة أصدقائهم بل وتكوين علاقة محبة مع عائلات الأصدقاء.

٤) رد فعلها الهادئ عند سماعها أو معرفتها لأخطائهم وخاصةً إذا كانوا هم مصدر هذه المعلومات، فعليها أن تستوعب الأمر وتتصرّف بحكمة وهدوء، وتحثهم على التفكير معها في كيفية معالجة الموقف.

الأمومة والقدوة:

من المعروف أن الأطفال في صغرهم يستوعبون كل ما تره أعينهم وتسمعه آذانهم كمثال CD أو DVD الخام الفارغ، ولكنه يسجّل كل ما يره ويسمعه. وستأتي اللحظة التي نرى انعكاس كل تصرفاتنا وكلامنا على حياتهم، فيصبح سلوكهم صورة سلبية من سلوكنا أمامهم. لذا ينبغي أن تدرك الأم أهمية دورها كقدوة.

وفي ذلك يقول يوحنا الذهبي الفم: "ليكن الجميع مدرسة ونموذجاً عامّاً للفضيلة"، وما يقوله على الجميع ينبغي أن يكون بالأكثر في الوالدين وخاصة الأم.

وهنا أتذكّر أنني تقابلت مع أب أسقف روسي صغير السن على غير طبيعة الأساقفة الروس فجميعهم كبار السن، وكان ذلك بعد عهد الرئيس الروسي

"جورباتشوف" مباشرةً حيث قد انتهت في عهده الشيوعية التي هيمنت على روسيا عشرت السنوات، وبسؤاله عن سر تحوله السريع ورهبنته وسيامته أسقفاً، أجاب أنه كان يرى جدّته وهى تسجد كل صباح سجدات متواترة (ميطانيات) أمام أيقونة للسيدة العذراء مريم، وكانت في بعض الأحيان تردد اسمه، فكانت صورة جدته وهى تصلّي وتسجد مرسومة في فكره، وكانت بمثابة حررة أشعلت مشاعر محبته للّه، وبمثابة قوة دافعة دفعته سريعاً للرهبنة، ومن ثَمّ سيامته أسقفاً. من خلال هذه القصة على كل أم أن تُدرك أهمية تأثير تقواها وسلوكها المسيحي في حياة أبنائها ولو بعد حين.

وهنا أسأل كل أم تقضي ساعات طويلة أمام المرآة: ماذا ستتعلم ابنتك منك؟ وهكذا أسأل الأم التي لا ترها ابنتها في يوم من الأيام مُمسكة بالإنجيل أو تصلّي من الأجبية في البيت، ولم تسمع أنها في يوم ذهبت لممارسة سر الاعترف، وقلما تجدها تُبكِّر للكنيسة لحضور القداس والتناول من الأسرر المقدسة! وأيضاً أسأل: ماذا نتوقّع من بنت لم ترَ أمها صائمة، وإذا كانت صائمة فلأيام محدودة في السنة ... بالتأكيد هذه الفتاة إن لم تتنشلها الكنيسة ستكون أسوأ من والدتها بكثير.

وماذا عن الأم التي يرها طفلها عصبية على الدوام، كثيرة الانفعال، سريعة الخطأ؟ يُضاف إلى ذلك الأم المشغولة بكل شيء إلاّ الجلوس مع أولادها، فهى إمّا خارج البيت للعمل أو الخدمة أو الأنشطة الاجتماعية وإمّا في البيت مع التليفون أو أمام التليفزيون، بالإضافة للساعات التي تقضيها في المطبخ.

أقول لكل أم: إن مصير أولادك وبناتك الأبدي قد يتوقّف كثيراً على حياتك أنتِ. فهل تقدِّمين نفسكِ قدوة لهم في كل شيء؟ فطفل اليوم الذي لا يجد القدوة في المعلم في مدرسنا المصرية، فأين يجدها إن لم يجدها في البيت؟

أقول لكل أم : كوني عابدة ـ محتشمة ـ باذلة ـ هادئة ـ حكيمة لتكسبي نفسك وأولادك معك .

أولاً: عَظَمة المحبة:

المحبة: هى وقود الحياة حيث بها تنتعش النفس البشرية وتنطلق إلى الأمام بطاقة الحب في قوة ونشاط.

المحبة: هى القوة الدافعة التي تُحرِّك العالم كله على مستوى الشعوب والجماعات والأفراد، حيث تولّد مشاعر الحنو من الكبير نحو الصغير، القوي نحو الضعيف، الغني نحو الفقير.

المحبة: هى المعطية القدرة على تخطّي حدود الزمان والمكان، فلازلنا نعيش بمشاعر الحب نحو الذين تركوا عالمنا من عشرات السنوات، وها نحن نتعلّق بمشاعر الحب بالذين هاجروا وعبروا المحيطات وسكنوا في قارات بعيدة.

المحبة: هى غذاء النفس، فعليها تتغذى وتنمو نفسية الطفل ليصبح إنساناً متكاملاً في صفاته.

المحبة: هى سر دوام الحياة، فلا غنى عنها للإنسان لأن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي، ومنذ البداية لا يمكنه أن يعيش وحيداً، لذا قال اللَّه عن آدم: **"ليس جَيِّداً أن يكون آدَمُ وحدَهُ، فأصنَعَ لهُ مُعيناً نَظيرَهُ"** (تك ٢ : ١٨). فالإنسان لا يمكنه أن يعيش بعيداً عن دائرة الحب (يُحِب ويُحَب) (يعيش مُحباً ومحبوباً معاً).

لذا يُعتبر الحبس الانفردي أقسى درجات العقوبة للمساجين، وبالتأكيد لا ينطبق هذا الأمر على الرهب المتوحّد في الجبل، لأنه أيضاً يعيش مُحباً ومحبوباً، ولكنه استبدل المحبة المتبادلة مع الناس بتبادل الحب مع اللَّه. وهنا يُمكننا أن نقول:

إن قدرات الإنسان تنمو وتثمر بمياه المحبة، وتضمر وتضعف بعواصف الإهمال والتجاهل، فقدرات الإنسان تجفّ وتحترق بلفحة القسوة ونار الانفعال والإهانة.

ثانياً: المحبة المسيحية:

المحبة المسيحية تختلف في مفاهيمها عن المحبة بمفهوم العالم، فهى ليست مجرّد غريزة أو شهوة، وهى ليست مجرّد تعاطف وقتي لظروف محددة. المحبة ينبغي أن تكون على الصورة التي رسمها لنا السيد المسيح في تعاليمه حيث قال: **"وصيَّةً جديدةً أنا أُعطيكُمْ: أنْ تُحِبّوا بَعضُكُمْ بَعضاً. كما أحبَبتُكُمْ أنا تُحِبُّونَ أنتُمْ أيضاً بَعضُكُمْ بَعضاً"** (يو ١٣ : ٣٤).

وهنا نقول أن تعليم المحبة ليس بجديد علينا، فلقد أمرنا اللَّه منذ البداية في الوصايا العشر أن نُحب اللَّه من كل القلب، وأن نحب القريب كأنفسنا. ولكن الجديد هنا هو درجة المحبة ونوعية المحبة التي على صورة محبة السيد المسيح لنا. فعلينا أن نحب من خلال المحبة الممتلئة بذلاً، علينا أن نحب بالأعمال ... فلا يتوقف حبنا عند مستوى المشاعر أو الكلمات **"لا نُحِبَّ بالكلامِ ولا باللِّسانِ، بل بالعَمَلِ والحَقِّ!"** (١يو ٣ : ١٨).

وهنا أسال كل شخص: هل تحب ابنك محبة مسيحية؟ هل محبتك لأولادك تختلف في طبيعتها عن محبة الوالدين غير المسيحيين؟ ... إن كان كذلك فطوباك فلقد عرفت الطريق إلى قلب أولادك، لقد أدركت معالم الطريق الذي تقودهم فيه للوصول إلى الأبدية.

فطريق الأبدية مفروش بورود الحب المسيحية.

ولكن قد تسأل: كيف لي أن أقتني محبة والدية مميزة ومختلفة عن أي محبة بغض النظر عن الدين أو الإيمان؟

أقول لك: إن المحبة المسيحية عطية من الروح القدس ولا ترتبط بالإمكانيات البشرية بل بالاستعداد البشري **"وأمّا ثَمَرُ الرّوحِ فهو: مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سلامٌ، ...."** (غلا ٥ : ٢٢).

الكل وبدون استثناء في حاجة إلى الحب:

لا حياة لأحد دون الحب ... فالكل في حاجة إلى المحبة كوقود للحياة، الكبير والصغير، المريض والمعافى، البنت والولد، الغني والفقير ...

- الطفل في حاجة إلى محبة والديه.
- الزوجين لا غنى لكل منهما عن المحبة المتبادلة بينهما.
- الوالدين في الكِبر يحتاجون إلى مشاعر وكلمات وأعمال المحبة من أبنائهم.
- الأجداد في حاجة إلى محبة الكل: الأبناء والأحفاد، الأقارب والجيرن، الكنيسة.
- الكل يحتاج الحب وبالأكثر يزداد الاحتياج في الأزمات والضيقات والأمرض ووقت الحزن وفي فترت الألم.
- السن لا يحول دون احتياج المُسن للحب من الكل.

وهنا أتذكّر قصة، ففي عام ١٩٨٩ كنت برفقة قداسة البابا طيب الذكر المتنيح البابا شنوده الثالث في رحلة رعوية لأمريكا وكندا، وفي إحدى الكنائس طلب مني أب كاهن وقور طاعن في السن (مُسن) أن يأخذ صورة فوتوغرفية معي، وأثناء التصوير بتلقائية وضعت ذرعي على كتفيه. ولكن في تلك اللحظة وقف طفل أمامنا أثناء التقاط الصورة، وفي تلقائية أيضاً سحبت ذرعي من على كتفي الأب الكاهن ووضعته على كتف الطفل، فإذا بالأب الكاهن الشيخ الوقور والمبارك يمسك بيدي ويعيد ذرعي مرة أخرى حول كتفية قائلاً: أنا محتاج لهذا الحب ... فحتى الأب الكاهن الشيخ الوقور في حاجة للحب! فجميعنا وبدون استثناء في حاجة لهذا الحب. فكم تكون حاجة الطفل إلى محبة والديه.

ولعلنا نلاحظ في بيوتنا ارتباط الجدّات بأحد أطفال العائلة أكثر من غيره، وإذا سألنا عن السبب لسمعنا أن هذا الطفل بالتحديد يُظهر اهتماماً أكثر بجدّته، فهو دائم الاهتمام بها والاتصال بها تليفونياً، يحلو له الحديث معها. ولأنها في حاجة مسيسة للحب حتى من الحفيد الصغير، فتقديراً لمحبته لها تبادله هى أيضاً الحب، فتميزه عن غيره من أطفال العائلة.

الأشياء المادية ليست بديلاً عن الحب

الأشياء المادية كالمال والهدايا وسيلة من ضمن وسائل كثيرة للتعبير عن المحبة، ولكنها لن تكون بديلاً عن مشاعر المحبة التي نبديها نحو الآخَر من خلال ملامحنا، وكلامنا، ووقتنا، الذي نمنحه وجهدنا، الذي نبذله للآخَر.

فالطفل الذي يعاني من قسوة والده لن تغيّر أي هدية مشاعره تجاه أبيه مهما كانت قيمتها.

الطفل لن يلتفت كثيراً إلى تعب الأب خارج البيت لأجل توفير المال الكافي لتغطية احتياجاته، فهو يرى في ذلك واجب على الأب، ولكنه بالأكثر ينتظر مشاعر وكلمات الحب من الأب وخاصة عند احتياجه.

فالأشياء المادية دون مشاعر
- تأثيرها لحظي.
- تأثيرها نسبي.
- يُنظر إليها كواجب.

ليتنا نتعلّم من السيد المسيح كيف قدَّم مشاعر الحب لمن يحتاج الحب وقت احتياجه إليه، فالمرأة الممسكة في ذات الفِعل لم يقف إلى جوارها إلا السيد المسيح ولم يدافع عنها إلا السيد المسيح ولم ينقذها من حكم الموت إلا السيد المسيح بالرغم من استحقاقها للموت وفقاً لشريعة موسى، فلم يقدّم لها كلمة ملامة واحدة بل قدَّم مشاعر حب، فمحبته كانت كافية لتغيير حياتها، كانت بمثابة قوة دافعة لحياة الفضيلة. فنجده يقول بعد إنقاذه لها في رقة مشاعر **"أَمَا دانَكِ أَحَدٌ؟ فقالتْ لا أَحَدَ، يا سيِّدُ! فقالَ لها يَسوعُ: ولا أنا أدينُكِ. اذهَبي ولا تخطئي أيضا"** (يو ٨ : ١٠ ـ ١١).

وهكذا نجد موقف السيد المسيح الممتلئ محبة نحو المرة الخاطئة في بيت الفريسي، فلقد كان هو المدافع عنها بل واهتم بكشف إيجابياتها التي افتقدها الفريسي الذي أدانها وأدانه.

وهكذا كان السيد المسيح برقته ومحبته للمرة السامرية فحوّلها من خاطئة إلى كارزة.

قلب الإنسان خزان للحب

يولَد الإنسان بقلب نشبّهه بإناء أو خزان للحب، فيولَد كل إنسان برغبة وميل تجاه عاطفة الحب. والطفل الذي لا يمتلئ قلبه بالحب في صغره لن يستطيع أن يعطي حب في كبره، لأن فاقد الشيء لا يعطيه. ومن لم يمتلئ قلبه بمحبة مَن حوله في البيت سيبحث عن أي محبة خارج البيت.

بغضّ النظر عن
- مصدر هذا الحب.
- نوعية هذا الحب.
- نتائج هذا الحب.

فقد يتجاوب مع محبة زئفة خادعة، وقد يتجاوب مع كلمات محبة ولكنها من خارج القلب، وقد يندفع لمحبة غريزية تحت مسمى الحب، وقد يرتبط بحب مع مَن لا يتوافق معه في أي شيء ... لا دين، ولا مستوى تعليم، ولا مستوى اجتماعي، ولا سن، وقد تدفع تلك المحبة الزئفة ذلك الإنسان المحروم من المحبة في بيته إلى الانفصال عن أسرته وعن مجتمعه وربما عن دينه.

ومن هنا تظهر أهمية الامتلاء بالحب قبل الوقوع في ما يُسمى الحب، ولعلنا نُدرك الآن السبب ورء بعض الظواهر المجتمعية. فإذا رينا فتاة تميل دائماً للوقوف في وسط الشباب فاعلم أنها لم تنعم بالحب في بيتها. وإذا فاجأتنا إحدى البنات بالارتباط بشاب خارج حظيرة الإيمان أو يختلف عنها في أمور كثيرة، فأعلم أن السبب يكمن في البيت، فالأهل لم يشبعوا هذه الفتاة من صغرها بمشاعر الحب، فقد انشغلوا عنها بتدبير الأمور المعيشية. هذه هى الفتاة التي لم يمتلئ خزن قلبها بمشاعر الحب في البيت ... تتأثر جداً وبسرعة بأي مشاعر محبة زئفة كانت أم حقيقية تحملها إليها: ربما نظرت أو كلمات أو مواقف. فإذا ظهر في حياتها شاب أعطاها ما لم تأخذه من أهلها ... أعطاها وقتاً لا تجده مع أهلها، أعطاها مديحاً عوض إهانة الأهل، أعطاها بريق أمل بدلاً من الواقع

المظلم الذي تعيشه في بيتها، أعطاها دفئاً في العلاقة عوض برودة العلاقة التي تعاني منها في بيتها.

لقد أصبح قلبها مفعماً بالحب حيث
- إحساس جديد لم تتعود عليه.
- إحساس غريب لا يُعبّر عنه بكلمات.
- إحساس جميل يصعب مقاومته.

وهنا أُحذّر كل أب وكل أم من نتائج هذه العلاقة التي نشأت بسبب الفرغ العاطفي، بسبب انشغالهم عن ابنتهم، أو بسبب سوء معاملاتهم وقسوتهم معها ...

١ـ تلاشي تحكيم العقل مما يؤدي إلى:

- الانشغال بصورته، بصوته، بمواقفه حتى في نومها.
- عدم اكتشاف عيوبه التي يرها الغير.
- عدم التفكير في عدم التوافق الرهيب.
- عدم إدرك زيف هذه العلاقة وخطورتها على مستقبلها.
- عدم السماع لتوجيهات أي أحد.

٢- تتأثر علاقتها بكل شيء وبكل أحد:

- الأهل.
- الأصدقاء.
- الكنيسة.
- الدرسة.
- وربما الإيمان.

٣ـ عدم استمرر هذه العلاقة مهما طالت، ولكنها قد تطول لأسباب عديدة:

- لمجرد إثبات الذات بسبب تحديها لكل أحد لأجله.
- لعدم وجود بديل أو مستقبل آخر حيث قطعت كل الأربطة.
- تجنباً لمواجهة مجتمعها الأول بعد الفشل.

٤ـ ولكن لا بد أن تعود مرة أخرى لحظيرتها إلى أهلها وأصدقائها إلى درستها وكنيستها:

ـ لأنها لا بد أن ترى سلبياته التي لم ترها قبلاً.

ـ سيدرك عقلها خطورة الواقع وهو ما لم يدركه من قبل.

ـ سترى أن هذه العلاقة ليست حباً ولكنها شهوة ولا بد أن تبرد.

ـ ستتأكد أن كل ما مضى كان وهماً وخيالاً بعيداُ عن الواقع.

ـ ستتأكد أن كل ما مضى كان غيبوبة وقتية.

وهنا علينا أن نسأل: مَن هو المخطئ في مثل هذه الحالات: الفتاة، أم الأهل أم الخدام أم الأصدقاء؟

في الحقيقة أن الجميع وبدون استثناء قد أخطأوا:

- البداية كانت عند الأهل الذين لم يسددوا احتياجات هذه الفتاة من بداية حياتها من عاطفة الحب والحنان.
- ونلقي أيضاً بالملامة على الأصدقاء الذين لم يغمروها بمحبتهم، ولم يجذبوها بمحبتهم ليبعدوها عن مثل هذه العلاقات.
- وقد ألوم أيضاً الكنيسة التي لم تُنمّي روح المحبة المسيحية من خلال العمل الجماعي في جو أسري نقي بين الأولاد والبنات من خلال اجتماعات الشباب والأنشطة المتنوّعة المشبعة.
- وبالتأكيد ألوم الفتاة التي لم تتخذ لها أب اعترف يعوّض تقصير والديها ويرشدها، ألومها لأنها لم تفاتح أحداً من البداية لتأخذ توجيهاً وإرشاداً ممن له بُعد نظر وبصيرة روحية ليكشف لها ما لا تره.

علينا في مثل هذه الحالات:

١ـ محاولة التواصل معها وعدم قطع العلاقة حتى نكون بمثابة حبل نجاة تتعلق به عند الحاجة.

٢ـ تشجيعها على العودة ونزع الخوف.

٣ـ الالتفاف حولها بكل الحب وكل الاهتمام بمجرد عودتها وعدم الحديث معها في الأمر حتى تتحدث هى عنه لنعوضها بمحبتنا عن تلك المحبة الزائفة.

٤ـ إن يتشارك الكل في إعادة بنائها نفسياً وروحياً.

٥ـ عدم الإسراع بربطها بآخَر بسرعة حتى تستعيد سلامتها النفسية والروحية.

أعود فأقول لكل أب ولكل أم: املأوا قلوب بناتكم وأولادكم بمشاعر الحب قبل الانشغال بأي أمر آخَر بما في ذلك خدمة الكنيسة.

سِمات المحبة الوالدية

مثال محبة اللَّه:

اللَّه في محبته الأبوية للبشر أحب الإنسان قبل أن يوجد ... فخلق العالم بكل ما فيه وأعده إعداداً مثالياً لاستقبال الإنسان، وعندما أراد أن يخلق الإنسان، خلقه على صورته ومثاله "**فخَلَقَ اللَّهُ الإنسانَ علَى صورَتِهِ. على صورة اللَّه خَلَقَهُ**" (تك ١ : ٢٧). وبعدما خلقه باركه وأعطاه السلطان على كل الخليقة: "**وباركَهُمُ اللَّه وقالَ لهُمْ: أثمِروا واكثُروا واملأُوا الأرضَ، وأخضِعوها، وتسَلَّطوا على سمَكِ البحرِ وعلَى طَيرِ السماءِ وعلى كُلِّ حيَوانٍ يَدِبُّ علَى الأرضِ**" (تك ١ : ٢٨).

اللَّه أحب الإنسان محبة ثابتة غير متغيرة:

فاللَّه أحب الإنسان محبة دائمة، أحبه إلى المنتهى، أحبه حتى في وقت عصيانه ووقت خطئه. فبعدما أخطأ آدم لا نجد فقط العقوبات التي أنزلها اللَّه عليه بل نجد أيضاً الحب، فيقول الكتاب عن اللَّه في محبته "**وصنع الربُّ الإلهُ لآدَم وامرأتهِ أقمصَة من جلدٍ وألبسهما**" (تك ٣ : ٢١). بل وحتى قايين بعدما أخطأ

وتحدَّث إلى اللَّه في خوف قائلاً: "**فيكونُ كُلُّ من وجَدني يَقتُلُني**" (تك ٤ :١٤)، قال له الرب في عطف: "**لذلكَ كُلُّ منْ قَتَلَ قايينَ فسَبعَةَ أضعافٍ يُنتَقَمُ مِنهُ. وجَعَلَ الرَّبُّ لقايينَ عَلامَةً لكَيْ لا يَقتُلهُ كُلُّ مَنْ وجَدَهُ**" (تك ٤ : ١٥). بل وفي حب عجيب غير متأثر بأخطاء الآخرين نسمع صوت السيد المسيح على الصليب قائلاً: "**يا أَبَتاهُ، اغفِرْ لهُمْ، لأنَّهُمْ لا يَعلَمونَ ماذا يَفعَلونَ**" (لو ٢٣ : ٣٤).

اللَّه أحب الإنسان محبة شاملة دون تمييز:

فاللَّه أحب كل البشر دون تمييز. لذا قيل عنه: "**لأنَّهُ هكذا أحَبَّ اللَّه العالَمَ حتَّى بَذلَ ابنهُ الوحيدَ، لكي لا يَهلِكَ كل من يؤمنُ به، بل تكونُ لهُ الحياةُ الأبديَّةُ**" (يو ٣ : ١٦). بل قيل عن اللَّه: "**إنَّهُ يُشرِقُ شَمسَهُ على الأشرارِ والصّالِحينَ، ويُمطِرُ علَى الأبرارِ والظّالِمينَ**" (مت ٥ : ٤٥).

اللَّه أحب الإنسان فأدَّبَه:

لذا يقول الكتاب: "**الذي يُحِبُّه الرَّبُّ يؤدِّبُه، وكأبٍ بابنٍ يُسَرُّ بهِ**" (أم ٣ : ١٢). فنجد أن اللَّه أدب خاصته بتأديبات متنوعة. فأدب داود، فقال هكذا: "**تأديباً أدَنِي الربُّ، وإلى الموت لم يسلمني**" (مز ١١٨ : ١٨).

الكنيسة في طقوسها تبرز الحب الكامل لكل أبنائها:

فنجدها تجمع المؤمنين معاً في حب ودون تمييز للتمتع بأسررها، فيشترك الجميع في التناول من جسد ودم السيد المسيح. بل وفي حب تصلّي الكنيسة لأجل الكل:

تصلّي لأجل الأحياء ولأجل المنتقلين، لأجل الأصحاء والمرضى، لأجل الحاضرين ولأجل المسافرين، لأجل الحكام ولأجل المحكومين، لأجل الذين في السجون ولأجل الذين في السبي ولأجل الذين في الحرية، لأجل المتزوجين ولأجل البتوليين، لأجل الخطاة لكي يتوبوا، لأجل الأحداث ولأجل الشيوخ، لأجل من

قُدِّمت أسماؤهم ولأجل الذين ليس لهم أحد يذكرهم، لأجل مباركة مياه الأنهار وثمار الأشجار وأهوية السماء، بل وحتى لأجل عشب الأرض.

إنها محبة عجيبة، محبة شاملة تشمل الكل دون تمييز، محبة حانية بل وحازمة أيضاً، فتؤدب المحتاج للتأديب دون محاباة.

أخي الحبيب، أختي المباركة:

أين المحبة الأبوية؟ أين الأبوة الحانية والأمومة الباذلة في تعقّل؟ أين المحبة الأبوية التي ينبغي أن تكون صورة لمحبة اللَّه لنا وانعكاساً لمحبة الكنيسة لأبنائها؟ إن الحب للأبناء هو غذاء نفوسهم، وعليه تنمو وتنضج شخصيتهم. وكما أن الطفل ينمو جسدياً على الغذاء الجسدي المتكامل العناصر، هكذا نفسية أطفالنا تنمو على الحب المتكامل الصفات. إن قدرت الأبناء تنمو وتثمر بالارتواء بمياه الحب، وتضمر بعواصف الإهمال، وتجف بلفحة القسوة وبحررة الشدة.

المحبة الأبوية ينبغي أن تكون:

أولاً: محبة في عطاء:

فكما أحبنا اللَّه فأعطانا كل شيء، وأعطانا السلطان على كل الخليقة، هكذا ينبغي أن تتّسم محبة الآباء والأمهات بالعطاء. وينبغي أن يتّسم هذا العطاء بالشمولية فعلينا:

١ـ أن نعطي ذواتنا:

من السهل أن تعطي ابنك شيئاً أو أشياء، ولكن الغنى الحقيقي في أن تعطيه ذاتك، فتعطيه من وقتك، وتعطيه من جهدك، تعطيه من مشاعرك وعواطفك. فالعواطف والمشاعر مُشبعة للنفس أكثر من الماديات، وتبني الإنسان أكثر من الأطعمة.

فالإنسان المحروم من العاطفة في بيته، وإن كان مغمور بأموال أبيه، ذلك الإنسان الذي يعوزه الفتات الساقط من مائدة وقت والديه، المنشغلين عنه لأجل

توفير المال، يخرج خارج البيت مفتشاً عن عواطف الغرباء، متأثراً بمشاعر الآخرين، متعاطفاً معهم، متجاوباً مع كل محبة ولو هدّامة، مرتبطاً بأشخاص وأصدقاء ولو على حساب روحياته، بل وأحياناً على حساب إيمانه!

٢ـ أن نعطي عطاءً متكاملاً:

ففي حبنا لأبنائنا نسعى ليس فقط للبناء الجسدي بل أيضاً الروحي. لا نهتم فقط بتوفير الغذاء بل أيضاً بتقديم الوجبات الروحية في مواعيدها، كوجبات مشبعة للروح. ينبغي أن لا نهتم بأبنائنا دراسياً فقط بل علينا أن نهتم بهم روحياً أيضاً، نهتم بأن نُدَرِّس لهم العلوم الكنسية المتعدّدة في البيت ومنذ الصغر، سواء الكتاب المقدّس بقصصه وأحداثه ووصاياه، أو تاريخ كنيستنا وعقيدتنا الأرثوذكسية. علينا أن لا نُحَفِّظهم دروس المدرسة ونصوصها فقط، بل أيضاً نُحَفِّظهم ألحان الكنيسة وصلواتها وأجزاء متنوعة من الكتاب المقدس.

نعطي ما هو للجسد وما هو للروح، بل بالأكثر نهتم بما هو للروح لأن المحبة التي تعطي ما هو للجسد وما هو للفكر، يقتصر تأثير هذا العطاء على فترة وجودنا في هذا العالم، أما عطاء الروحيات فسيمتد تأثيره إلى الحياة الأبدية.

١ـ علينا أن نعطي حتى لو لم نأخذ: محبة الآباء في عطائهم لأبنائهم ينبغي أن تكون بدافع الحب. ينبغي أن نكون غير متأثرين بطبيعة مَن نعطيه ومدى تجاوبه مع عطائنا ومدى مبادلته العطاء بعطاء، سواء عطاءً مادياً أو معنوياً، سواء بأعمال أو بكلمات أو بمشاعر. ينبغي أن نعطي دون التأثر بردود الأفعال. ينبغي أن نعطي كما تعطينا الكنيسة من حب، وكما أعطى السيد المسيح حباً لصالبيه وقت صلبه. علينا أن نُعَبِّر عن محبتنا لأولادنا في عطاء، وفي محبة لشخصهم دون تأثر بمواقفهم وتصرفاتهم، بل علينا أن نعطي بالرغم من أخطائهم وتقصيرهم.

٢ـ علينا أن نعطي قبل أن يُطلب منا: علينا أن نتمثّل في عطائنا باللَّه الذي لا ينتظر أن نسأل لكي يعطينا، فلقد طالبنا السيد المسيح قائلاً: **"فلا تهتَمّوا قائلينَ:**

ماذا نأكُلُ؟ أو ماذا نشرَبُ؟ أو ماذا نَلبَسُ؟ ... لأنَّ أباكُمُ السماويَّ يعلَمُ أنَّكُم تحتاجونَ إلى هذه كُلِّها" (مت ٦ : ٣١ ـ ٣٢).

لذا علينا مراعاة مشاعر أبنائنا كتعبير عن عمق حبنا لهم، علينا أن نفكّر في احتياجاتهم ونقدِّمها لهم قبل أن يطلبوها، بل وقبل أن يشعروا باحتياجهم إليها.

٣ـ علينا أن نعطي دون تعيير: نعطي مهما أخطأ الأبناء، ومهما نسى الأبناء محبتنا المعطاءة. ينبغي أن ألا نعيرهم بما أعطيناه، بل نُذَكِّرهم بعطائنا بمزيد من العطاء ونُفَكِّرهم بحبنا بمزيد من الحب، ونعمّق بنوتهم لنا بمزيد من عمق الأبوة، وبفيض من الأمومة.

ثانياً: محبة دون تمييز.

يطالبنا الكتاب المقدس أن تكون محبتنا بلا تمييز. فينبغي ألا يميز الآباء والأمهات بين أولادهم في المعاملة. فهذا التمييز قد ينتج عنه أضراراً عديدة:

١ـ التمييز يولِّد الحقد:

تمييز يوسف عن إخوته بالقميص الملوَّن قد سبب له متاعب كثيرة، فبسبب التمييز تولّد الحقد في قلوب إخوته من نحوه. ويوضّح الكتاب المقدَّس ذلك في عدّة عبارات: **"فلَمّا أبصَروهُ مِنْ بَعيدٍ، قَبلَما اقتَرَبَ إليهِم، احتالوا لهُ ليُميتوهُ"** (تك ٣٧ : ١٨). ثم **"وأخَذوهُ وطَرَحوهُ في البِئرِ"** (تك ٣٧ : ٢٤). ثم **"وأصعَدوهُ مِنَ البِئرِ، وباعوا يوسُفَ للإسماعيليِّينَ بعشرينَ مِنَ الفِضَّةِ. فأتَوْا بيوسُفَ إلى مصر"** (تك ٣٧ : ٢٨).

٢ـ التمييز يولد الأحقاد والعدوانية:

فلقد رأينا كيف فكّر إخوة يوسف في قتله بسبب التمييز. بل وحتى على مستوى الأطفال نجد أن الاهتمام بطفل دون الآخَر يمثل خطورة، كتمييز الصغير عن الكبير في المعاملة، وتمييز المجتهد عن الكسلان ... كل هذه الصور للتمييز تولِّد نفساً عدوانيه، فقد تمتد يد الأخ لضرب أخيه بسبب الغيرة، للتمييز في

المعاملة. وإن لم يتمكّن من ذلك، فقد تمتد يده بعنف في التعامل مع الأصدقاء خارج البيت.

ومن أمثلة هذا التمييز نرى تمييز رفقة لابنها يعقوب على ابنها عيسو، فقد ميّزته على غير ما توقع هو نفسه لدرجة أنها كانت على استعداد لتحمُّل اللعنة بدلاً منه، وكانت نتائج هذا التمييز:

- إن رفقة لم تفكر في ابنها الآخَر عيسو ولا في حزنه وبكائه على ضياع البكورية.
- إن حزن عيسو تسبّب في تولُّد الحقد في قلبه واستعداده لقتل يعقوب أخيه.
- إن ما زرعته الأم لابنها في البداية حصده هو مرراً بعد ذلك.
- إن يعقوب أخذ البركة ومعها متاعب وعقاب بسبب خداع خاله لابان له.
- إن يعقوب كان خائفاً من عيسو حتى أنه حمل له هدايا كثيرة وسجد أمامه.

أيضاً يعقوب عندما ميّز ابنه يوسف أخطأ نفس الخطأ الذي أخطأت فيه أمه، وكانت النتيجة أن يعقوب حزن جداً على اختفاء يوسف. وهكذا فإن التمييز يولّد أحقاداً، والحقد يولد طاقة عدوانية قد تصل إلى القتل.

٣ـ التمييز يولّد عناداً:

إذا لاحظ الأخ تمييزاً لأخيه في التعامل، نجد روح العناد والتمرُّد تدخل إلى حياته. فيرفض ما يُقَدَّم له، يرفض الطعام رغم احتياجه إليه، يرفض المذاكرة رغم أهميتها، بل ونجده لا يخرج من دائرة العناد باستخدام القسوة أو العقاب بل قد يخرج منها بالمحبة والحنان.

٤ـ التمييز يولّد اكتئاباً:

قد لا يتمكّن الطفل غير المميز في المعاملة من التعبير عن تعبه في تعامله مع الآخرين، سواء في قسوة أو عناد. ولكن وبسبب الكبت الداخلي تتولّد في حياته بل ومن صغره روح الاكتئاب والانطوائية التي قد تولّد فشلاً في الدرسة،

وقد ينتج عن ذلك بعض الظواهر المرضية كالتبول اللا إرادي مثلاً. ولعلاج هذه الحالات لا بد من دفعة حنان وقوة حب في وقت مبكّر قبل أن يتعمّق الاكتئاب وتترسخ الانطوائية في حياته.

لذا، على الوالدين أن يقدِّما محبة للأبناء دون تمييز، وإن كانت هنالك ضرورة من التمييز فينبغي أن يراعى:

- أن يكون التمييز موضوعياً وليس شخصياً، فنميز الأكثر احتياجاً.
- أن يكون التمييز وقتياً وليس دائماً، فنميز المريض حتى يبرأ والصغير حتى يكبر.

- أن تكون مظاهر التمييز قدر الإمكان غير ملحوظة للآخَرين، فيكون التمييز بعيداً عن أعينهم بقدر الإمكان.
- أن نشرك معنا باقي الأبناء في الاهتمام بمن هو محتاج للاهتمام، فنشرك الأكبر معنا في تربية الأصغر، نشرك السليم في علاج المريض. على أن يُمتدح ويُكرم ويُميز لتعبه في خدمة أخيه أو أخته.
- أن لا يكون التمييز من الزوجين معاً، بل أن توزّع المحبة. فإن اهتمت الأم بالرضيع كضرورة، يهتم الأب بالأكبر اهتماماً ملحوظاً يتناسب مع سنه ومكانته. وإن اهتمت الأم بالمريض، يهتم الأب بالسليم فيخرج معه ويفيض عليه بالهدايا والعطايا والحنان.

المحبة الوالدية بين التدليل والقسوة

يولد الطفل ليعيش وسط أسرته كما لو كان نبتة صغيرة تحتاج لحكمة وخبرة ومعرفة لأجل نموها.

النمو في النعمة والقامة معاً كما قيل عن صموئيل النبي ويوحنا المعمدان. وأعني هنا بالنمو النمو في أعيننا وأعين الناس وعين اللَّه الفاحصة.

فالطفل كالنبات ...

الذي في حاجة إلى الماء، والذي إن زاد يغرقه.

الذي في حاجة إلى الشمس، والتي إن زادت حرارتها تحرقه.

الذي في حاجة إلى الهواء، والذي إن زادت سرعته تقلعه.

فهكذا الأبناء ... في حاجة للعاطفة والحب ولكن دون تدليل، في حاجة للحزم وأحياناً الشدة ولكن دون قسوة، ولهذا ينبغي أن تكون محبتنا دون تدليل ودون قسوة.

أولاً: محبة والدية بلا تدليل:

إن كنا نُطالب الآباء والأمهات بالاهتمام عاطفياً بأبنائهم من خلال مشاعر وكلام وأعمال الحب، لكن نرجو منهم تجنُّب المبالغة في ذلك، تجنُّب التدليل المبالغ فيه. فيوجد العديد من الأطفال الذين يسرف والديهم في الاهتمام بهم بصورة تتسم بالتدليل ومنهم:

- طفل وحيد والديه.
- طفل طال انتظاره فتم إنجابه بعد سنوات عديدة من الزواج.
- طفل ذكر وسط العديد من الأخوات البنات.
- طفل مريض منذ صغره.
- طفل انتقل أحد والديه إلى السماء.

ـ طفل مميز في أمر من الأمور أكثر من إخوته كالدراسة مثلاً.

ـ طفل أكثر جمالاً من إخوته.

والتدليل وإن كان علامة حب ولكنه كالمياه الغارقة للنبات، فله خطورة على نفسية الطفل وعلى مستقبله. لذا يُطالبنا سليمان الحكيم قائلاً: "**مَنْ يَمنَعُ عَصاهُ يَمقُتِ ابنَهُ، ومَنْ أحَبَّهُ يَطلُبُ لهُ التّأديبَ**" (أم ١٣ : ٢٤). وهو هنا لا يعني العصا بصورة حقيقية ولكن بصورة رمزية، فهو يحفّزنا على استخدام أساليب التأديب ويؤكد أن عدم التأديب هو نوع من التدليل الضار. لذا لا تخف على ابنك من التأديب بل بالأكثر خف عليه من التدليل، فالتأديب يفيده والتدليل يضره.

ويوضح سليمان الحكيم التدليل بقوله: "**إنَّهُ يَموتُ من عَدَمِ الأدب**" (أم ٥ : ٢٣). ويعني بالموت هو الموت الأدبي والروحي والاجتماعي، حيث ينتظره الضعف وعدم القدرة على القيادة وعدم القدرة على العطاء والبذل في حياته العملية والزوجية معاً. فعلى الجانب الآخَر نذكر العديد من الفوائد للتأديب:

١ـ من يؤدّب ابنه يتشبّه باللَّه الممتلئ حباً:

فاللَّه في محبته للبشرية يحفظها من خلال تأديباته الإلهية.

فلا يمكننا أن ننسى تأديبه لحبيبه داود النبي.

ولن ننسى تأديبه لبني إسرائيل في برية سيناء بأساليب متعدّدة.

ولن ننسى تأديبه لبنى إسرائيل بالهزيمة أمام عاي القرية الصغيرة.

ولن ننسى تأديبه لبني إسرائيل بالسبي.

ولن ننسى تأديبه ليونان بالريح العاصف وبالوجود داخل الحوت وبقصة اليقطينة.

ولن ننسى تأديبه لشاول الطرسوسي بالعمى والذي من خلاله آمن باللَّه.

وما أكثر التأديبات الإلهية في حياة القديسين، وفي حياة كل منا على مدى سنوات عمره. لهذا قيل عن السيد الرب: "**الذي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يؤَدِّبُهُ، وكأبٍ بابن سرُّ به**" (أم ٣ : ١٢). ولهذا نقر لموسى النبي وهو يُذَكِّر شعبه قائلاً "**فأعلَمْ في قَلبكَ أنَّهُ**

كما يؤَدِّبُ الإنسانُ ابنَهُ قد أدَّبَكَ الرَّبُّ إلَهُكَ" (تث ٨ : ٥).

ولهذا نجد السيد الرب يخاطب حبيبه أرميا النبي قائلاً: **"لأنِّي أنا معكَ، يقولُ الرَّبُّ، لأُخَلِّصَكَ. وإنْ أفنَيتُ جميعَ الأُمَمِ الذينَ بَدَّدتُكَ إليهِمْ، فأنتَ لا أُفنيكَ، بل أؤَدِّبُكَ بالحَقِّ، ولا أُبَرِّئُكَ تبرِئَةً"** (إر ٣٠ : ١١). ففي حب اللَّه يحفظه من الهلاك **"لا أُفنيكَ"**، وفي حب اللَّه يميزه عن كل الخليقة **"وإنْ أفنَيتُ جميعَ الأُمَمِ .. فأنتَ لا أُفنيكَ"** وفي حب اللَّه يسعى لخلاصه **"أنا معكَ، يقولُ الرَّبُّ، لأُخَلِّصَكَ"**، ولكنه في حب يسمح له أيضاً بالتبديد **"جميعَ الأُمَمِ الذينَ بَدَّدتُكَ إليهِمْ"**، ولكنه في حب أيضاً يؤدّبه **"بل أؤَدِّبُكَ بالحَقِّ"** وفي محبه له لا يبرئه إن أخطأ **"ولا أُبَرِّئُكَ تبرِئَةً"**.

هذه هى محبة اللَّه الممتلئة حكمة، تغمر الإنسان بكل مظاهر الحب بما في ذلك التأديب. لهذا نقرأ لأرميا النبي: **"أدَّبتَني فتأدَّبتُ ... لأنَّكَ أنتَ الرَّبُّ إلَهي"** (إر ٣١ : ١٨).

ولهذا يُخاطب الرب ملاك كنيسة اللاودكيين قائلاً: **"إنِّي كُلُّ مَنْ أُحِبُّهُ أوَبِّخُهُ وأؤَدِّبُهُ. فكُنْ غَيوراً وتُبْ"** (رؤ ٣ : ١٩).

لهذا، ألتمس من كل أب وكل أم أن يحنو كل منهم على أبنائهم، ولكن عند الحاجة فلا بد من التأديب.

٢ـ من يؤدب ابنه ينقذه من الموت والهلاك:

لقد تعامل اللَّه بكل الحب مع داود النبي، فلقد اختاره للمُلك من صغره، وفي محبته وهبه الكثير من الإمكانيات والمواهب، وفي محبته أنقذه من الموت على يد شاول، وفي محبته أعانه على أعدائه.

ولكن الرب لم يُشفق عليه عند الخطأ، فكانت تأديبات اللَّه له تماماً كنعمه وبركاته. فنظر داود إلى تأديبات اللَّه له كرحمة إلهية، ورأى التأديبات بديلاً عن حكم الموت وإنقاذاً من الهلاك، لذا نقرأ عنه قوله المأثور: **"تأديباً أدَّبَني الرَّبُّ، وإلى الموتِ لم يُسلِمني"** (مز ١١٨ : ١٨).

وفي هذا يقول سليمان الحكيم: **"لا تمنَعِ التّأديبَ عن الوَلَدِ، لأنَّكَ إنْ ضَرَبتَهُ بعصاً لا يَموتُ. تضرِبُهُ أنتَ بعَصاً فتُنقِذُ نَفسَهُ من الهاويَةِ"** (أم ٢٣ : ١٣ ، ١٤).

٣ـ من يؤدب ابنه في الصِغر يجد راحة في الكِبر :

يقول سليمان الحكيم: "**أَدِّبِ ابنَكَ فيُريحَكَ ويُعطيَ نَفسَكَ لَذّاتٍ**" (أم ٢٩ : ١٧). فالتأديب في الصِغر يرسّخ المبادئ والقيم وينزع السلبيات مبكراً، فيسلك الابن في كِبره في استقامة القلب والفكر والسيرة.

ليتنا نتخيل شخص يريد أن يربي شجرة في الحديقة حتى تنمو في استقامة مرتفعة بسرعة إلى أعلى فماذا يفعل؟

ليس أمامه إلا أن يُخَلِّص الشجرة من الفروع الجانبية التي تعوق نموها إلى أعلى والتي تؤثر بالسلب على استقامة عودها. إن ما يفعله الزارع في حقله وكل شخص في حديقته هو ما ينبغي أن يمارسه الأب مع ابنه والأم مع ابنتها، فالتأديب في الصِغر من خلال طرق التأديب المتعددة تنمّي الأبناء على الاستقامة وترسّخ فيهم الحكمة "**الابنُ الحَكيمُ يَسُرُّ أباهُ**" (أم ١٠ : ١).

٤ـ عدم تأديب الابن وتهذيبه يُعَرِّض والديه للمساءلة أمام الله:

لعلنا نتذكر قصة عالي الكاهن ـ والتي ذكرناها تفصيلاً ـ فنتذكر فيها العقوبات الإلهية التي لحقت بعالي الكاهن بالرغم من أمانته في خدمته وذلك بسبب تقصيره في تربية أولاده.

لذا، فعلينا أن نرعي الآتي في تربية أبنائنا:

- علينا أن نوفّر لهم ما يحتاجونه وليس ما يطلبونه، فقد تكون طلباتهم فوق إمكانيات الأسرة، وقد تكون سبب ضرر لهم.
- **في حالة رفض طلباتهم علينا أن نتدرّج في الأساليب الآتية:**

ـ فنبدأ باستخدام كل أساليب الإقناع.

ـ فإن لم يكن فالتجاهل.

- وإن لم يكن فالتوبيخ.
- وإن لم يكن فعلينا بالتأديب.

- علينا أن نوفّر لهم ما يناسبهم في الوقت الذي نراه مناسباً وبالأسلوب المناسب مهما كانت ضغوطهم علينا.

دهاء الطفل والوصول إلى ما يريده:

قد لا ندرك درجة ذكاء الطفل، فالطفل يتّسم بالذكاء الشديد وإن كان ليس لديه القدرة على التعبير عنه.

علينا أن ندرك أن الذكاء نعمة مرتبطة بالإنسان منذ ولادته، فدرجة الذكاء لن تزيد ولكن ستظهر تباعاً من خلال الأمور الحياتية اليومية، فيمكننا أن نتابع الطفل في تخطيطه للوصول لهدفه وخاصة عند ولادة طفل آخَر بعده، ومن هذه التصرفات المُعَبِّرة عن الذكاء الفطري:

- يتظاهر الطفل بالمرض لأجل مزيد من الاهتمام والتدليل.
- قد يمتنع عن الطعام جذباً لمزيد من الاهتمام.
- يظهر الخوف من النوم منفرداً لكي يستمر في أحضان والديه.
- يبكي عند نومه لأجل مزيد من الاهتمام والتفرُّغ له عند النوم.
- يظهر عدم القدرة على الاعتماد على النفس لجذب اهتمام الآخرين به والتفرّغ له، فنجده يطلب المساعدة في تناول طعامه بعد أن كان يأكل وحده، وفي ارتداء ملابسه بالرغم من سنوات عمره، بل ويفضّل أن يهتم والديه بمذاكرته ومرجعة دروسه عن تكليف أحد المدرسين بذلك، فهو يريد مع المذاكرة عواطف ومشاعر واهتمام.
- يشكو دائماً من إخوته في البيت، ومن زملائه في المدرسة، ومن الأصدقاء في الكنيسة، وسيبالغ في شكواه ويكثر منها طالما أنها تجذب اهتمام وتعاطف والديه.

ولكن علينا أن ندرك خطورة التدليل على مستقبله:

- سوف يفشل في عمله ولن يكون مميزاً عن زملائه.
- سوف يميل للراحة أكثر من العمل.
- سوف يبحث دائماً عن الأسهل وليس الأفضل.
- سوف يظل دائماً في حاجة إلى مساعدة الغير، حيث لا يمكنه الاعتماد على نفسه.
- سوف يكون في النهاية عالة على زوجته، وسيكون سلبياً في تربية أبنائه في المستقبل.

باختصار، فالتدليل يؤدي إلى الفشل المؤكد في المستقبل.

ثانياً : محبة حازمة ولكن دون قسوة :

مما سبق أدركنا خطورة التدليل وأهمية التأديب. ونقرأ لسليمان الحكيم العديد من التعاليم في هذا الصدد نذكر منها:

"أدِّبِ ابنكَ فيُريحَكَ" (أم ٢٩ : ١٧).

"العَصا والتَّوْبيخُ يُعطيانِ حِكمَةً" (أم ٢٩ : ١٥).

"مَنْ يَمنَعُ عَصاهُ يَمقُتِ ابنَهُ، ومَنْ أحَبهُ يطلُبُ لهُ التّأديب" (أم ١٣ : ٢٤).

وهكذا (أم ٢٣: ١٣، ١٤)، (أم ٢٢ : ١٥).

ولعلنا نلاحظ هنا في تعاليم سليمان الحكيم تكرر عبارت (تأديب ـ عصا)، والعصا هنا لا تعني المعنى الحرفي فهى ليست عصا مادية بقدر ما هى معنوية، فقد تعني:

١ـ نظرة حازمة:

فمجرد النظرة الحازمة يخجل أمامها الابن وتخضع لها الابنة، فالنظرة الصامتة في حزم، والنظرة الثاقبة في هدوء، والنظرة الطويلة دون كلام أو انفعال قد تكون أكثر تأثيراً من الضرب. مثال لذلك نظرة السيد المسيح

لبطرس وقت خطئه وكيف كان لها تأثيراً عجيباً، فيقول الكتاب عن بطرس: "**فخرج إلى خارج وبكى بكاءً مُـرّاً**" (مت ٢٦ : ٧٥)، فبمجرّد نظرة حازمة عاتبة أبكت بطرس، فكم يكون تأثيرها بالأكثر على الطفل.

٢ـ موقفاً حازماً:

والأمثلة كثيرة منها:

ـ إعطاء الطفل ما يفيده وليس ما يريده.

ـ عدم الترجع عن القررت والعقوبات مهما كانت الضغوط حتى تأتي بثمارها كما يفعل اللَّه مع البشرية في كثير من الأحيان.

ـ عدم الترجع عن المبادئ المسيحية تحت أي ظرف.

٣ـ نوعاً من التجاهل:

إن تجاهل الأبناء وعدم الاهتمام بهم وعدم الابتسام في وجوههم عند الخطأ ولو لوقت محدود وخاصة مع الابنة له تأثير السحر، ولكن علينا بأن نرعي:

أن تكون في حدود المستطاع:

ـ من جهة مدة التجاهل.

ـ من جهة طبيعة الطفل على الاحتمال، فهم ليسوا متساوون في ذلك.

فالإفرط في التجاهل قد يؤدي إلى تجاهل الطفل لتجاهلك له، مما يسبب لك الضيق، ومما يفقد هذا الأسلوب تأثيره فيما بعد.

ملاحظات على التأديب الخالي من القسوة:

١ـ الهدف من التأديب تنشئة الأطفال تنشئة مسيحية سليمة بما يضمن النمو في القامة والنعمة معاً، فالهدف منه هو إخضاعهم لوصايا الرب وليس مجرّد الخضوع لوصايا الأب وتعاليمه.

٢ـ أدب ابنك بنظرة قبل أن تلجأ لوسائل التأديب الأخرى، أدبه بنظرة قبل أن تلجأ للكلام، ومن لا تحركه النظرة الحازمة قد لا يغيره الضرب القاسي، ومن يتعود على الضرب يزداد تمرداً وعصياناً.

٣ـ أدبه بكلمة هادئة لكن في حزم، فلا توبخه بانفعال بل في هدوء لئلا تفقد حبه لك كقول الكتاب: "**كَلِماتُ الحُكَماءِ تُسمَعُ في الهُدوءِ، أكثَرَ مِنْ صُراخِ المُتَسَلِّطِ بَينَ الجُهّالِ**" (جا ٩ : ١٧). فعليك أن تدرك أن الكلمة الجارحة الصاخبة تُميته معنوياً ونفسياً وروحياً.

٤ـ لا تؤدبه فور وقوعه في الخطأ ولا وقت سماعك ومعرفتك بالخطأ:

- حتى تهدأ نفسك وتفكر بهدوء في الأمر بما يجنبك الانفعال وانفلات أعصابك.
- حتى يهدأ هو وحتى تجنّبه سرعة الرد بما يضطره للكذب أو الاندفاع في الرد.
- حتى تعطيه فرصة لمراجعة نفسه فربما يبادر هو بالاعتذار عن الخطأ.

٥ـ لا تؤدبه أمام الغير لئلا تكسر نفسه وتحطّم معنوياته وخاصة أمام زملاء المدرسة وأصدقاء الكنيسة.

٦ـ لا تؤدّبه بأكثر من عقوبة في وقت واحد، فلا تحرمه جزء من مصروفه وفي نفس الوقت تمنعه من الخروج.

٧ـ لا تعاقبه بحرمانه من شيء لا يتكرر كثيراً خلال السنة كهدية عيد ميلاده مثلاً مهما كان الخطأ.

٨ ـ لا تعاقبه في الوقت الذي تكافئ فيه آخَر كإخوته مثلاً لأنك بهذا تضع حواجز بينهم.

٩ـ لا تعاقبه بحرمانه من وعود سابقة فلا بد أن تفي بوعدك له مهما كانت الأسباب واختر مجالاً آخَر للعقوبة.

١٠ـ لا تعاقبه عن أول خطأ بل المتكرر.

١١ـ لا تعاقبه عن أخطاء فوق قدرته ولا تتناسب مع طبيعته وإمكانياته.

١٢ـ لا تعاقبه عن أخطاء أنت تقع فيها لأنك ستفقد المصداقية وسيشعر وقتها بالظلم، فعليك أن تُخرج الخشبة من عينك أولاً حتى تؤهل لإخرج القذى من عينه.

١٣ـ أدّبه من خلال حكمه على نفسه، كأن تصفح عنه تلك المرة وتسأله ماذا أفعل بك إذا تكرر الأمر. على أن تتمسك بذلك، فالهدف ليس العقوبة ولكن الإقلاع عن الخطأ.

١٤ـ أدبه بأسلوب فيه منفعة، كأن يتم حبسه في حجرة بها كتب أو قصص أو ألعاب نافعة، أو أن تعاقبه بمشاركته في ترتيب حجرته أو مساعدة والدته في أمر من الأمور.

خطورة القسوة:

قد لا يدرك الكثير من الآباء والأمهات خطورة القسوة على الأبناء وخاصة البنات لما لهم من درجة عالية من العاطفة والحساسية وخاصة في سن المرهقة، يضاف إلى ذلك نوع من الرومانسية. مما يضاعف التأثيرت السلبية. وتكمن خطورة استخدام القسوة في عدة أمور:

١ـ تعطيل قوى التفكير والابتكار بسبب الخوف من رد فعل الخطأ، ونلاحظ ذلك في الفصول الدرسية وفصول مدارس الأحد، حيث يتجنّب البعض المشاركة في إجابة الأسئلة، فيندر أن نجد تلميذ تربى على القسوة يرفع يده في الفصل ليسأل أو ليجيب على سؤال.

٢ـ اقتناء المكر والخداع والكذب لتغطية الأخطاء خوفاً من العقاب إذا تم اكتشاف الخطأ.

٣ـ الكتمان، فيندر أن نجد طفلاً يعاني من القسوة مبادراً بكشف أخطائه أو الحديث عن مشاكله مما يجعله ينغلق على نفسه ويسقط في المزيد من المشاكل لعدم وجود مرشد.

٤ـ اكتساب القسوة والعنف والجفاء مع الغير ومع الطيور والحيوانات وحتى الأشياء، فمثل هذا الطفل نجد ملامح عنفه على حذائه حيث يركل بقدمه كل ما يواجهه، وإن كان أصغر سناً نلاحظ عنفه مع الأصغر منه في البيت.

وإليك بعض الأمثلة الحية على ذلك:

- في مرة اشتكت أم من اختفاء كل البيض الذى تشتريه، وأخيراً اكتشفت الأمر عندما شكا أصحاب المحال التجارية أسفل العمارة من ابنها أنه يلقي بالبيض في الشارع. فطلبت منها مراجعة علاقتها به، فهو في حاجة إلى المزيد من الحب.
- في مرة حضرت زوجة تشكو من زوجها بسبب أمر غريب، فلقد اعتادت هذه الزوجة على شراء الحمام وحفظه في البيت والقيام بتغذيته حتى يزداد وزنه وبعد ذلك تذبحه وتقدِّمه كوجبة مميزة. ولكنها لاحظت على مدى السنوات أن أعداد الحمام تتناقص في كل مرة ولا تعرف السبب في ذلك. وذات مرة دخلت المنزل في توقيت غير متوقع، فوجدت زوجها أمام الحوض في الحَمّام ممسكاً برقبة حمامة ليخنقها، ومن هنا اكتشفت سبب اختفاء الحمام. وهنا أعود لأحلل الأمر: لماذا يتصرف الزوج بهذا التصرف الغريب؟ هل هذا الزوج عانى كثيراً في طفولته من قسوة والديه فلم يجد أمامه إلا الحمام المستضعف ليصب عليه غضبه؟ هل زوجته شخصيتها قوية فلا يجد نفسه معها فيقوم بهذا التصرُّف؟ ... بالتأكيد كان وراء تصرُّف هذا الزوج معاناة وربما قسوة في التعامل معه سواء في طفولته أو حتى في كِبره.

٥- التجاوب السريع مع أي مصدر للحنان خارج البيت بما قد يعصف بمستقبل هذا الابن وبالأكثر الابنة.

أشكال أخرى للقسوة:

١- الهيمنة والسيطرة:

فليس من الضروري أن تأخذ القسوة شكلاً من أشكال العنف. فمن مظاهر القسوة إلغاء إرادة وفكر وري الآخَر اقتناعاً من الآباء والأمهات أنهم الأكثر معرفة لاحتياجات الأبناء، ومن مظاهر هذه السيطرة:

- اختيار ملابس الأبناء وفقاً لرؤية الكبار دون إعطاء فرصة لتنمية الزوق العام لهم، ودون أن يعطوا حق المشاركة في الاختيار وفقاً للموديلات والألوان المنتشرة وسط أصدقائهم، ومن السهل جداً علينا أن نكتشف ذلك عندما نجد الأبناء يلبسون على ذوق والديهم حيث يلبسون ما يتناسب مع الأكبر منهم سناً!
- اختيار الكلية أو القسم، فنعاني كثيراً في الكنيسة بعد إعلان نتيجة الثانوية العامة في كل عام من محاولاتنا للتوفيق بين رغبات الأبناء ووالديهم من جهة الكليات والأقسام. فالوالدين يفضلون الكلية الأكثر سمعة والتي تتميز بدخل عالي لخريجيها (أعني كلية الطب مثلاً) ولكن الابن يختار وفقاً لإمكانياته.
- اختيار العريس والعروسة للأبناء، وهنا أسأل: من الذي سيتزوج؟ وحينئذٍ يكون له الرأي الأهم في الاختيار، لأن إكراه الأبناء في زواجهم يؤدي إلى:
  - وجود عدم توافق على مدى سنوات الزواج.
  - ربما تتزوج البنت وتعيش بجسدها في بيت زوجها الذي تزوجته على غير إرادتها، ويبقى قلبها متعلّقاً لسنوات بمن كانت تريد الزواج منه.
  - قد يؤدي إلى سعي من تم إكراهه على الزواج لطلب بطلان الزواج.

  فلا بد من موافقة الابن واقتناعه بشريك حياته. وهنا أؤكد أنه لا ينبغي أن يفرض الآباء والأمهات على أبنائهم شخصاً للزواج، كما أنه غير مطمئن أن يتزوج الابن خلافاً لآراء والديهم. فالزواج الناجح هو الذي يأتي كثمرة لموافقة الجميع ... مثل هذا الزواج سوف يكون مفرحاً للجميع، وسوف يكون مدعوماً من الجميع.

٢- المبالغة في إبداء النصائح:

فالكثير من الأبناء يعانون من أسلوب والديهم في هذا الأمر من خلال عدّة أمور:

ـ كثرة النصائح وتشعّبها في كل شيء.
ـ كثرة النصائح دون مراعاة الوقت المناسب.
ـ كثرة النصائح في وجود آخرين مما يُشعر الأبناء أنهم يعاملون كأطفال.
ـ كثرة النصائح بغض النظر عن إمكانية الشخص في تنفيذ هذه النصائح.
ـ كثرة النصائح دون مراعاة منطقيتها ومناسبتها، كأن تنصح الأم الأبناء بعدم التعامل مع عائلة الأب لخلافاتها هى معهم، فهى لا تُدرك أهمية صداقات الأبناء من العائلة لتحصينهم من المعاشرات الرديئة.
ـ كثرة النصائح التي قد تتعارض مع السن والعصر مما يُشعر الأبناء بالضيق.

فلا تكثروا من نصائحكم ...
لا تكرروا نصائحكم فيما يخصّ أمر معين ...
لا تستخدموا الأسلوب المباشر في إبداء النصيحة ...
اسعوا أن تعلموا الأبناء القدرة على اتخاذ القرر المناسب ...
لأنه كيف ستوجِّهون لهم النصح أثناء اليوم الدرسي؟
وكيف ستقدمون لهم النصح فيما يخص حقل العمل؟
وكيف ستوجِّهون لهم النصح داخل بيوتهم في المستقبل؟

الأم الحكيمة والأب الحكيم هما القادرن أن يدربان ابنهم على اتخاذ القرر
وإذا أخطأ يجعلانه يفكِّر هو في تصحيح الخطأ
عندئذٍ لن يكرر هذا الخطأ بأي حال من الأحوال.

الفصل الخامس

الطفل وسلبياته

الطفل وسلبياته

في أحيان كثيرة يشكو لي الأهل من أحد أطفالهم في كونه مختلفاً عن إخوته، وأنهم قد عانوا منه بسبب عادة سيئة، ولم يتمكّنوا من علاجها.

مما جعلني أشعر بالالتزام بمحاولة اقتحام هذا المجال البعيد عن تخصصي للبحث في أسباب المشكلة لمحاولة إيجاد حل لها ومعالجة آثارها السلبية، وأرجو أن يوفقني اللَّه في ذلك.

ومن هذه السلبيات: (الكذب ـ الخوف ـ العصبية ـ التخريب ـ السرقة).

أولاً: الطفل والكذب.

الكذب: هو سلوك خارجي تحرِّكه دوافع نفسية داخلية، وعادة الكذب هي خطية مرتبطة بالإنسان منذ نشأته سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وهنا نتذكر قايين عندما سأله الرب: "**فَقال الرَّبُّ لِقَايينَ: أينَ هابيلُ أخُوكَ؟ فقال: لا أعلَمُ! أحَارِسٌ أنا لأخي؟**" (تك ٤ : ٩). كان رد قايين يشتمل على خطأين كبيرين: الأول هو الكذب على اللَّه "**لا أَعْلَمُ**"، والثاني التهكُّم على اللَّه "**أحَارِسٌ أنا لأخي**" مما دعى الرب لمعاقبته في قوله: "**فالآنَ مَلعونٌ أنتَ منَ الأرضِ**" (تك ٤ : ١١). فقد يكون الكذب بإنكار الحقيقة، أو قد يكون بإخفائها. ولخطورة الكذب كانت الوصية الإلهية "**لا تسرِقْ**" (خر ٢٠ : ١٥)، "**لا تسرِقوا، ولا تكذِبوا**" (لا ١٩ : ١١).

ويوضح الرب خطورة الكذب في قوله في سفر اللاويين: "**ولا تَحلِفُوا باسمي للكَذِب، فَتُدَنِّسَ اسم إلهك. أنا الرَّبُّ**" (لا ١٩ : ١٢). وهنا نجد اقتران خطية القَسَم بالرب بخطية الكذب، لهذا قيل عن الرب "**كراهَةُ الرَّبِّ شَفَتا كذبٍ**" (أم ١٢: ٢٢)، *ولكن لماذا كان الكذب كراهة الرب؟*

١ـ لأن الكذب من عمل الشيطان:

فعندما كذب حنانيا على بطرس الرسول قال له: "**لماذا مَلأ الشَّيطانُ قَلبَكَ لتكذِبَ علَى الرّوحِ القُدُسِ**" (أع ٥ : ٣).

٢ـ لأنه خطأ موجه إلى اللَّه نفسه:

لذا قال بطرس لحنانيا: "**لتكذِبَ على الرّوحِ القُدُسِ**" وقال له أيضاً أنتَ **لم تكذِبْ علَى الناسِ بل علَى اللَّه**" (أع ٥ : ٤).

٣ـ لأنها خطية منهي عنها منذ البداية:

"**لا تكذب**" (لا ١٩ : ١١).

مصير الكذاب:

وهنا يسأل الأب:

إن الأمر جد خطير، لأن الكذب قد تمكّن من ابني، فما هو مصيره؟

وعن مصير الكذاب يوضّح الكتاب المقدس الأمر:

ـ فقد قيل عن أورشليم السمائية: "**ولن يدخلها شيءٌ دَنِسٌ ولا ما يَصنَعُ رَجِسا وكذِبا**" (رؤ ٢١ : ٢٧) **وقيل أيضا عن أورشليم السمائية: "لأن خارِجا الكلابَ والسحَرةَ والزُّناةَ والقَتَلَةَ وعَبدَةَ الأوثانِ، وكُل مَنْ يحبُّ ويصنَعُ كذِبا**" (رؤ ٢٢ : ١٥). وهنا نرى أن محب الكذب يتساوى في مصيره مع السحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان.

ـ وهنا يخاطبنا بولس الرسول قائلاً: "**لذلكَ اطرحوا عنكُمُ الكَذِبَ، وتكلموا بالصِّدقِ كُلُّ واحدٍ مع قريبهِ**" (أف ٤ : ٢٥).

وهنا يصرخ الأب:

"ابني كذّاب، ماذا أفعل؟".

وهنا أرجو أن أطمئن الآباء والأمهات في كون الصدق والكذب صفة مكتسبة وليست طبعاً، فالطفل لا يولد بأي منها ولكنه يكتسبها.

وهنا يكون السؤال:

"أين تعلّم ابني الكذب؟ ما هو مصدر الكذب في حياته؟".

وعن مصادر الكذب نقول:

١ـ يكتسب الطفل الكذب من الوسط المحيط به:

فالطفل يكتسب الصدق والكذب من المحيطين به في الأسرة. فالطفل منذ صغره يمكنه التمييز بين الصدق والكذب من كلام المحيطين به. ومما يساعده على إتقان الكذب أكثر من غيره هو قدرته على الكلام في سن مبكر بالإضافة للذكاء واتساع الخيال.

٢ـ يكتسب الطفل الكذب من معاملات الأسرة المباشرة معه:

بأن يطلب منه والده أن يكذب على من يطلبه في التليفون بأن يقول له: "بابا مش هنا". وهنا احذر الوالدين من استخدام العنف مع الطفل عندما يكذب حتى يحصلون منه على الحقيقة، إن هذا الأمر يجعله أكثر دهاءً وأكثر قدرة على الكذب.

أنواع الكذب:

للكذب أنواع عديدة منها:

١ـ الكذب الخيالي:

الكذب الخيالي كأن يقول الطفل أنه رى ثعباناً تحت السرير أو أنه رى فأراً في حجم الكلب، أو قد يأخذ منحنى روحي يتكرر كثيراً بأن يقول أنه رى البابا كيرلس مثلاً.

وترجع أسباب الكذب الخيالي إلى:

- عدم التفرقة بين الخيال والحقيقة لصغر السن.
- نوع من التعبير عن أحلام اليقظة.
- تفاعلاً مع القصص الخيالية الكثيرة التي يسمعها كحدوتة قبل النوم التي قد تحكيها له والدته - أو أفلام الكرتون أو بعض قصص مدارس الأحد والتي تتسم أحياناً بالسذاجة.
- تقمُّص شخصية أكبر منه فيريد أن يكون كأبيه، فيدعي ما لا قدرة له عليه.

وهنا أريد أن أطمئن الأهل في كون الكذب الخيالي غير مقلق وعلاجه بسيط، **فعلينا الآتي ...**

- تجاهل كلامه وعدم الرد الإيجابي أو السلبي.
- تقديم تصحيح بسيط وسريع للمعلومة دون الوقوف عندها كأن نقول: الثعبان لا يمكنه الوجود في البيت، وعلينا ألا نرد على رده.
- علينا تجنُّب القصص الخيالية التي نحكيها له لأنها تنمي خياله.

٢- الكذب الالتباسي :

فالطفل هنا لا يقصد الكذب، ولكن يلتبس عليه الأمر نتيجة لتداخل الخيال مع الحقيقة بسبب سنه، كما يحدث مع الكبار عندما تتداخل الحقيقة مع المشاعر فيكون الكلام مبالغاً فيه دون قصد الكذب.

ومن الأمثلة لذلك عند الطفل:

- حكايات بابا نويل وهداياه له، فيحكيها كما لو كانت حقيقة لأن الأمر مع السنوات قد ترسّخ في ذهنه حيث أنه ينتظر في كل عيد ميلاد أو رس السنة هدية بابا نويل تحت شجرة الكريسماس.

- قد يكون قد حلم حلماً في نومه سابقاً، فيعيشه في اليقظة ويحكيه بشيء من التفاصيل على أنه حقيقة قد واجهها بالفعل.
- قد يكون انعكاس لمشاعر داخلية، فمَن يخاف من الكلب قد يحكي أن كلب الجيرن حاول أن يعضه، في حين أنه لم يخرج من البيت.
- إذا كان هناك زميل له في الحضانة أكبر منه حجماً وأكثر قوة، ولكونه لا يحبه، وفي نفس الوقت يشعر أنه أقوى منه، فيحكي أنه قد ضربه.

علينا أن نتجاهل الأمر ولا نركز عليه، فبعد فترة يغلب على كلامه قول الحقيقة.

٣ـ الكذب الادعائي:

بأن يدعي الطفل شيئاً لم يحدث ولكن عن قصد. والدوافع ورء ذلك عديدة منها:

أ ـ لأجل تعظيم النفس نتيجة للشعور بالنقص:

فمثلاً إذا كان الطفل أقل في المستوى الاجتماعي من زملائه في الفصل، فيقول أن والده ضابط شرطة في حين أنه أمين شرطة. أو أن يقول أن والده طبيب في حين أنه فني أشعة أو أقل من ذلك. وقد يدعي أن لديه لعب كثيرة لإحساسه أنه أكثر فقرً من زملائه.

ب ـ لتغطية الأخطاء أو هرباً من عقوبة:

ونجد أن هذا المسلك منتشرً بصورة أكبر في البيوت التي يتسم فيها الأهل بالقسوة. فإذا أخذ الشهادة من المدرسة ووجد الدرجات ضعيفة يقول: لم نأخذ الشهادة، أو يوقع عليها هو ويسلمها مدعياً أنه توقيع والده، أو أن يعيدها للمدرسة بدون توقيع مدعياً سفر والده.

ج ـ لاستدرر العطف:

وفي الغالب نجد ذلك في الابن الأكبر مع بداية ولادة طفل جديد استحوذ على اهتمام والديه. فنجد الطفل يدّعي المرض وأحياناً يبكي مشتكياً من مغص، وقد يفعل ذلك أيضاً الطفل الأقل في الإمكانيات عن باقي إخوته.

والحَل هنا بسيط ولكنه ينبغي أن يكون سريعاً وذلك بتكثيف جرعات الحب.

٤ ـ الكذب الاستحواذي:

فنجده ينكر أن معه نقود أو يدّعي ضياعها أو سرقتها ليأخذ أكثر. وقد يدعي أنه مطلوب منه نقود للمدرسة وهو ليس كذلك. وقد يخفي لعبته ويدعي ضياعها لأجل إحضار لعبة جديدة.

وقد نلاحظ نحن كآباء كهنة هذا الأمر في الكنيسة عند توزيع الأولوجيا (لقمة البركة)، فالمعروف عن الأطفال محبتهم الشديدة للقربان، فقد يأتي طفل إلى أبونا يطلب منه قطعة كبيرة، ويعود بعدها ليطلب لوالدته أو والده، وهو في الحقيقة سيأخذها لنفسه ولكنه يخجل أن يطلب مرة أخرى.

وأنا أنصح الآباء الكهنة بعدم جرح مشاعر الطفل، ولكن عندما يعطيها له يقول: هذه أيضاً لك أنت، وإذا عاد وطلب مرة ثالثة فلا ترده حتى لا يدعي غير الحقيقة.

٥ ـ الكذب الانتقامي:

وهو الأكثر خطورة. وفي هذه الحالة نجد أن الطفل يختلق أحداثاً أو يدعي قصصاً غير حقيقية على شخص لا يحبه أو يغير منه لمجرد تشويه صورته.

وتزداد المشكلة ← مع الطفل الخيالي.
← ومع الطفل الذي يتقن التمثيل (كأن يبكي أو ينفعل).

وقد يستمر هذا النوع من الكذب لسنوات طويلة. فقد نجد فتاة في سن المرهقة تدّعي أنها رت أختها الأكبر مع شاب وذلك لأنها تغير منها لتميزها. أو نجد صبياً يدّعي أنه رى أخيه يدخن السجائر دون أن يحدث ذلك.

٦ ـ الكذب الدفاعي:

فبسبب خوفه من العقوبة من الأب أو المدرّس القاسي، يدّعي أشياء لم تحدث كأن يقول أنه لم يعمل واجباته المدرسية لأنه كان مريضاً. أو يدّعي أن سبب تأخيره في المدرسة هو حصة إضافية، في حين أنه كان يلعب ويلهو ... وهكذا.

٧ـ الكذب التقليدي:

وهنا نجد أن الطفل الذي عانى من كذب والديه معه أو خداعه، يتقمّص شخصياتهم ويتصرّف مع إخوته وأصدقائه كتصرُّف والديه معه. وأقرب الأمثلة على أخطاء الوالدين في هذا الأمر:

- كأن تنام أمه إلى جواره وكأنها ستنام هى الأخرى ولكنها بعد أن تتأكد من نومه تخرج للزيارة أو التسوُّق، وعندما يستيقظ من نومه بعد فترة يكتشف الخداع الذي وقع عليه.
- أب يدّعي أنه سيخرج مع ابنه للتنزُّه والفسحة أو لشرء حلوى أو هدية، ولكنه يفاجأ الطفل أنه قد ذهب به إلى الطبيب.
- أب يشجّع ابنه على الاجتهاد والمذاكرة ويحفّزه، ويعده بهدية معينة في حالة تفوُّقه، ولكن الأب يخلف بوعده.

مع تكرر مثل هذه المواقف نجد أن الطفل يتقمَّص شخصية والده ويتصرَّف بما يشبه ذلك مع أخيه أو زميله في المدرسة.

٨ ـ الكذب المزمن:

مع طول الزمن وعدم التصرُّف الحكيم لعلاج الكذب عند الطفل، عندئذٍ يتحوَّل الكذب إلى عادة كما لو كان مرضاً مزمناً.

فيتحوَّل إلى:

ـ كذب لمجرَّد الكذب دون دوافع ودون أهداف.

ـ كذب في مواقف لا تستدعي الكذب.

ـ أن تكون كل أحاديثه بصيغة المبالغة، فلا يمكن أن يخلو أي حديث له من خيال ومن رتوش الكذب.

وإذا وصل الطفل إلى هذه الحالة فربما يحتاج الأمر إلى:

ـ متابعة روحية من أب الاعتراف.

ـ متابعة طبية من طبيب مختصّ.

تجنُّب الكذب وعلاجه:

وهنا أقدِّم لكم نصائح مركّزة لتجنُّب كذب الطفل وعلاجه:

١ـ علينا تحرّي الدّقة في الكلام معه وأمامه، ولا نتخيل أنه أصغر من أن يدرك.

٢ـ تحرّي الدّقة في تنفيذ وعودنا له مهما كانت المعوقات.

٣ـ عدم التعامل مع الطفل بقسوة لأن الكذب أهم النتائج السلبية للقسوة.

٤ـ عدم محاصرته بالأسئلة لإقرار الحقيقة مما يدفعه لمزيد من الكذب بل وإتقان الكذب.

٥ـ كثرة الكلام عن الصدق وسرد قصص كثيرة عن الصدق ونتائجه الإيجابية وذلك للتحفيز عليه والتحصين بصورة إيجابية ضد الكذب.

٦ـ تجنُّب العقاب على الكذب لأن ذلك سيولّد فيه المكر والدهاء والقدرة على الإخفاء.

٧ـ عدم معاقبة مَن يقر بكذبه بل علينا تشجيعه والأخذ بيده مهما كان الخطأ.

٨ـ لا تطلب منه أن يكذب في أي أمر لئلا يتحوّل ذلك إلى عادة.

٩ـ الاهتمام بإشباع حاجاته النفسية وخاصة إذا كان صغير النفس بسبب إحساسه بالنقص.

ثانياً : الخوف عند الطفل

- الخوف بصفة عامة حالة انفعالية يعيشها كل إنسان بدرجات متفاوتة على مدى حياته.
- الخوف حالة لا تقتصر على الإنسان وحده بل يمر عليها كل الكائنات.
- الخوف ظاهرة طبيعية عند الطفل بشروط ثلاثة:

الأول: أن يكون بدرجات بسيطة مما ينمي فيه روح الحذر وليس الرعب.

الثاني: أن يكون في مرت محدودة وليست متواترة.

الثالث: أن تكون حالة الخوف لها حلول وليست بلا حلول فيمكن التعامل معها.

وخطورة الخوف عند الطفل أنه قد يؤدي إلى تخزين مخاوف أكبر وأعمق من إمكانياته مما يؤثر مع الوقت على

- نفسيته.
- علاقاته الاجتماعية بالآخرين.
- مستواه التعليمي.
- مستقبله المهني.
- مستقبله الأسري.

أمّا الخوف في حدود مقبولة فنعتبره نعمة إلهية تنمّي في الطفل روح الحذر لتحميه من مخاطر الحياة.

أمَّا الخوف المرضي فهو خطية تؤدي بالإنسان إلى الهلاك "**وأمّا الخائفونَ وغَيرُ المؤمِنينَ والرَّجِسونَ والقاتِلونَ والزُّناةُ والسَّحَرَةُ وعبدةُ الأوثانِ وجميعُ الكَذبةِ، فنصيبُهُمْ في البُحَيرَةِ المُتَّقِدة بنارٍ وكبريتٍ، الذي هو الموتُ الثّاني**" (رؤ ٢١ : ٨).

ولعلنا هنا نلاحظ خطورة الخوف والذي يرتبط مصير مَن يتسلّط عليه مع غير المؤمنين والقتلة والزناة والسحرة وغيرهم. فالخوف في درجاته الكبيرة يعبّر عن نوع من عدم الإيمان في قدرة اللَّه وفي محبته.

أسباب الخوف في السن المبكّر عند الطفل:

١) في السنة الأولى من عمره:

يخاف الطفل من الصوت العالي الفجائي، فنجده يبكي إذا فوجئ بصوت كلب دون توقُّع أو صوت بوق سيارة أو صوت غلق باب بعنف.

٢) من سن ٢ ـ ٥ سنوات:

يخاف الطفل من الوجود في أماكن غريبة ومن الأشخاص الغرباء كما يحدث عند زيارة ضيف، كما أنه يخاف من الحيوانات والطيور التي لم يألفها. يتأثر الطفل بصفة عامة بخوف الغير، فيبكي مرتعباً عند بكاء أخته، ومن هنا ننصح الأهالي بعدم اصطحاب الأطفال إلى صلوات التجنيز، أو زيارات العزاء، فهو غير قادر على احتمال مظاهرها. فالخوف ظاهرة مُعدية تنتقل من شخص إلى آخَر.

مظاهر الخوف عند الطفل:

تتدرَّج مظاهر الخوف عند الطفل لشدة السبب أو تكرره، فتمرّ بمرحل متعدّدة كالآتي:

١) تبدأ بظهور مظاهر الفزع على ملامحه.

٢) يليها مرحلة الصرخ.

٣) ثم تتطور إلى رعشة في أجزء من وجهه، وقد تصل إلى كل جسده.

٤) يليها سرعة الحركة للهروب من الشخص أو المكان.
٥) وقد تؤدي إلى القلق وعدم النوم.
٦) قد يصاحب الحالة ظاهرة الكلام المتقطع.
٧) وقد تصل الحالة أن يصحبها عرق شديد وفي قليل من الأحيان تبول لا إرادي.

وتتدرج درجة الخوف ما بين:

ـ الخوف المرضي ـ شديد الدرجة ـ الشاذ في مظهره والمتكرر.
ـ عدم الخوف وذلك لعدم الإدراك، ومثال على ذلك: "مَن يمسك النار بيده، أو يلعب بالسكين ـ أو يضع يده في مصادر الكهرباء".

ويمكننا معرفة درجة الخوف ومدى كونها طبيعية أم لا من خلال مقارنة حالته بأقرانه في نفس السن ونفس الجنس، وإليك مثال لتقييم درجة الخوف عند طفلك:

الحالة	التقييم
مَن يُصِر على النوم في وجود نور في الحجرة	أمر يقترب من الطبيعي
مَن يصرخ فزعاً في الظلمة	أمر يزيد عن الطبيعي
مَن يعرق ويرتعش رعباً من الظلمة	أمر غير طبيعي يُعَبِّر عن خوف مرضي

أسباب الخوف عند الطفل:

يمكن تقسيم أسباب الخوف عند الطفل إلى:

١ـ أسباب موضوعية محسوسة لها مصادر حقيقية:

كالخوف من رجل الشرطة بملابسه الغريبة عليه، وخوفه من الطبيب، وخوفه من الحيوان، وهكذا الخوف من السكين والدم والنار. فكلها أسباب

مادية محسوسة تؤدي إلى خوفه بسبب ما قد تكون في ذاكرته من مشاعر تجاهها.

٢ـ أسباب غير مادية:

كالخوف من الظلمة والموت ...

٣ـ أسباب ذاتية:

وأعني بها عدم الثقة في النفس وهى ترجع إلى:

ـ أسلوب التربية (انتهار ـ ضرب ـ معايرة ـ مقارنة بالغير).

ـ الوسط المحيط (مشاكل أسرية ـ قلق واضطرب في الأسرة).

ـ الضعف الجسماني (كالأعرج ـ الأحول ـ النحيف ـ السمين ـ الأسمر ـ قباحة الشكل).

الدور السلبي للوالدين في تنمية الخوف في حياة الطفل:

يمكننا أن نقول أن السبب الرئيسي في ترسيخ مشاعر الخوف عند الطفل هو تصرفات والديه، والتي منها:

١) القسوة التي قد تكون في كثير من الأحيان غير مبرّرة أو مُبَالَغ فيها.

٢) التعامل مع خوف الطفل بطريقة سلبية وذلك من خلال السخرية والضحك، واتخاذ مظاهر خوف الطفل كوسيلة للتسلية، والحديث عنها للغير في وجوده مما يزيد الحالة تعقيداً.

٣) توليد مشاعر الخوف عند الطفل تجاه أشخاص أو أشياء أو أماكن من خلال تهديده بها، كالتهديد بالذهاب للطبيب أدباً لإعطائه حقنة، أو التهديد بوضعه في (حجرة الفئرن)، التهديد بأن (العفريت واقف) على السلم إذا خرج من الباب، العسكري سوف يقبض عليك، الحرمي في الشارع، سأحكي لمدرّس الفصل لكي يعرفك على حقيقتك، سأحكي لأبونا ... وهكذا.

كيف نقي الأطفال من الخوف؟

١) من خلال الدفء الأسري كجلوس الطفل على أرجل والدته أو والده ـ القبلات ـ الأحضان ـ اللعب برقة في شعره ـ كلمات التشجيع ـ كلمات المديح ـ الإقلال من استخدام الحزم والشدة في الصِّغر.

٢) تشجيعه على الاعتماد المبكّر على نفسه مع المساعدة والمرقبة، وعلى سبيل المثال: الأكل، فالطفل قبل بلوغه السنة الأولى من عمره يحاول أن يمسك الملعقة ليُطعم نفسه، ولكن الأم تمنعه خوفاً على ملابسه. وأنا أرى أهمية تركه مع مساعدة الأم بتوجيه يده بيدها وبعدها تشجعه لنجاح التجربة. وما نقوله على الأكل نقوله على محاولاته للوقوف على قدميه، فلا ننزعج من فشله في البداية ووقوعه على الأرض، فعلينا تجاهل الأمر وتشجيعه على تكرر المحاولة، وهكذا بعد أسابيع يتكرّر الأمر في محاولاته للمشي دون مساعدة. فعلينا فقط الإمساك بأطرف يده، وهكذا يتكرر الأمر مرة أخرى بعد عدة شهور في محاولاته صعود السلم بدون مساعدة.
إن نجاح الطفل المبكِّر في الاعتماد على نفسه في هذه الأمور يولّد الثقة في نفسه في هذه الأمور وغيرها، كما يطرد الخوف إلى خارج نفسه.

٣) الإقناع الهادئ وطمأنته من نحو أسباب خوفه، وهنا أُحذّر من تجاهل الأمر، فلا بد من الكلام والشرح ولكن بتشجيع وبهدوء.
٤) تجنُّب إظهار خلافات الوالدين أمام الطفل مع تجنُّب الصرخ أو البكاء أو الشِجار أمامه.
٥) ضبط النفس وعدم إظهار الخوف والهلع أو الصرخ من أي شيء أمامه، وأريد أن أوضح خطورة الصرخ أمام الطفل. تخيلوا أم واقفة وفوجئت بصوت بوق سيارة نقل كبيرة أو قطار خلفها مباشرةً، ماذا سيحدث بالنسبة لها؟ إن ما يحدث لها هو نفس ما سيحدث لطفلها عند سماعه صرخ أمه.

وهنا أتذكر أنني منذ سنوات عديدة كنت في كاليفورنيا، وفي فترة وجودي حدث زلزال شديد أدى إلى سقوط العديد من الكباري والمنشآت، وكان مركز الزلزال في منطقة "الفالي" التي لنا فيها كنيسة، فذهبت بعد حدوث الزلزال بيومين لأخذ بركة القداس الإلهي ولتشجيع أقباط المنطقة، وأثناء توزيع الألوجية كنت واقفاً تحت نجفة كبيرة، فحدث ما يسمى بـ (توابع الزلزال)، وصرخ الشعب حتى أتحرّك بعيداً عن النجفة، ولكنني قررت الاستمرار في مكاني لأن مجرّد تحرُّكي خوفاً سينقل بالتبعية الخوف والرعب للجميع ... وهنا ومن خلال هذه الفرصة أقول لكل أم وأب: لا تُصَدِّروا الرعب لأبنائكم.

٦) التشجيع المتدرّج في التعامل مع أسباب خوف الطفل، وعلى سبيل المثال إذا كان يخاف من القطة، علىَّ أن أبادر باللعب في فراء (شعر) القطة أمامه دون طلب منه أن يفعل ذلك، ومع تكرار الأمر سيتجرأ هو ويقترب ليشاركني في الأمر، وبعد ذلك يتحوّل خوفه من القطة إلى صداقة.

٧) إبعاد الطفل عن مثيرات الخوف، وعلى سبيل المثال (جنازة في الكنيسة ـ زيارة عزاء ـ محل الجزار حيث الدم والسكين ـ تجنُّب ذبح طيور أمامه في سن مبكّر ـ إبعاده عن رؤية مظاهرات صاخبة ـ عدم اصطحابه في أماكن مزدحمة كالأسواق العامة الموجودة في الشوارع).

٨) عدم إظهار القلق الزائد عليه لأن ذلك ينمّي في الطفل الخوف السلبي.

٩) علينا في نفس الوقت تنمية الخوف البنّاء بالإقناع الهادئ للطفل بما يتناسب مع سنه لتنمية روح الحذر لديه، فعلينا تحذيره من الإمساك بالأشياء الساخنة أو الاقتراب من النار أو السكين، أو الابتعاد عن أمه في الطريق والابتعاد عن مسار حركة السيارات.

علاج ظاهرة الخوف عند الأطفال:

ذكرنا فيما سبق كيفية تجنُّب ترسيخ مشاعر الخوف عند الطفل، وهنا نركّز على كيفية تخليص الطفل من مشاعر الخوف التي ترسَّبت لديه. وإليك عدة وسائل:

١) الإقناع الهادئ والمتدرّج مع عدم إجبار الطفل على شيء يخاف منه.

٢) ربط مصادر الخوف بأمور إيجابية، فالطفل الذي يخاف من الطبيب يتم التنسيق مع الطبيب على إعطائه لعبة في كل مرة يذهب إليه على أن نحضر نحن اللعبة للطبيب.

٣) العلاج الجماعي للحالة من خلال تعامل الآخرين مع نفس الشخص الذي يخاف منه الطفل، أو الحيوان أو الشيء الذي يسبب له خوفاً، مع تكرر الأمر دون أن يطلب منه أحد أن يشاركهم، إلى أن يبادر هو بذلك، فمثلاً التناول في القداس الإلهي، أقول للأم: لا تجبري طفلك على ذلك، فالأمر يحتاج ملاحظة الآتي:

- تهيئة الطفل للتناول في البيت بتقليد ما سيحدث مع أبونا مع الشرح المناسب للسن.
- أن نتيح للطفل التعامل مع الأب الكاهن بعيداً عن التناول.
- عند الذهاب للتناول علينا أن نذهب إلى خورس المتناولين قبلها بفترة حتى يتعوّد الطفل على المكان.
- علينا الابتعاد عن الزحام الذي يؤدي إلى بكائه، والذي يكون عائقاً أمام تناوله من الأسرر.
- علينا الوقوف بالقرب من أبونا وهو يناول الآخرين وخاصة الأطفال حتى يرهم بنفسه ويطمئن لما يحدث.
- على الأم أن تُبادر هى بالتناول أمامه وبعدئذٍ يتم تناول الطفل.
- في حالة رفض الطفل بالرغم من كل هذا فعلينا ألا نجبره على ذلك.

٤) علينا أن نحكي للطفل بعض قصص القديسين والتي تنمي فيهم مواجهة أسباب الخوف.

٥) ربط الطفل بالملائكة غير المنظورة التي تحميه "**مَلاكُ الرَّبِّ حالٌّ حولَ خائفيهِ، ويُنَجِّيهم**" (مز ٣٤ : ٧) "**لأنَّهُ يوصي مَلائكَتَهُ بكَ لكي يَحفَظوكَ في كُلِّ طُرُقِكَ**" (مز٩١ : ١١)، مع وضع صورة للملاك في حجرته.

٦) ربطه بالصليب كمصدر قوة، وتعليمه رشم علامة الصليب أثناء دخوله وخروجه، وعلى الأشياء التي يتعامل معها.

٧) تحفيظه من صِغره آيات الكتاب المقدّس التي تحصّنه من الخوف، والتي يمكنه ترديدها عند الحاجة. والأمثلة على ذلك كثيرة:

+ "**لا تخشَى من خَوْفِ اللَّيلِ**" (مز ٩١ : ٥).

+ "**معهُ أنا في الضّيقِ، أُنقِذُهُ وأُمَجِّدُهُ**" (مز ٩١ : ١٥).

+ "**ادعُني في يومِ الضّيقِ أُنقِذكَ فتُمَجِّدَني**" (مز ٥٠ : ١٥).

+ "**أستَطيعُ كُلَّ شَيءٍ في المسيحِ الذي يُقَوِّيني**" (في ٤ : ١٣).

ثالثاً : الطفل العصبي

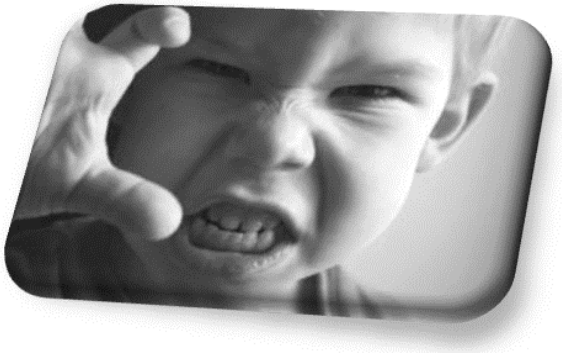

الأطفال شخصيات متباينة :

فلا يمكننا أن نجد طفلان متشابهان في الشخصية ويقتربان من حالة التطابق حتى لو كانا توأم. فللأطفال شخصيات متباينة، ويتحكَّم في هذا التباين أمرن:

الأول: التكوين الشخصي:

الثاني: المؤثرات الخارجية:

١ـ المكان
- السكن (موقعه ـ اتساعه ...).
- الحى (رقي ـ شعبي).
- البلد (قرية أو مدينة، كبيرة أو صغيرة).
- الدولة (متقدمة أو متأخرة، ملتزمة بالقيم الدينية أم لا).

٢ـ (الأشخاص). (والديه ـ إخوته ـ مدرسيه ـ أصدقاؤه ـ خُدّامه).

٣ـ الظروف
- مولود أول أم أخير.
- الأمرض.
- الظروف المرتبطة ببداية حياته (خلافات أسرية ـ وفاة أحد والديه).

لذا نجد التباين الواضح في شخصيات الأطفال:

- فمنهم من يميل إلى الهدوء الذي يصل إلى حد العزلة وعدم الاختلاط.
- ومنهم من يميل للأنشطة الاجتماعية حيث يميل للتعاون مع الآخرين.
- ومنهم من يتّسم بالرّقة وآخَر بالذكاء وثالث يميل لكثرة الحركة.
- ومنهم نجد شديد العصبية سريع الإثارة ـ سريع الغضب والانفعال.

أسباب العصبية عند الأطفال :

يوجد العديد من الأسباب التي تنمي وترسّخ العصبية في الطفل، والتي قد تحولها إلى عصبية مرضية، أهم هذه الأسباب:

١ـ توتر العلاقات الأسرية:

سواء علاقة الزوجين مع بعضهما وخاصة أمام الأطفال أو علاقتهما بالأبناء، مضافاً إليها طبيعة علاقتهما بالجيرن ومجتمع الكنيسة والحي. فإن كانت علاقة سوية ممتلئة محبة وقائمة على التفاهم الهادئ، فهذا يؤدي إلى نشأة الطفل نشأة هادئة مما يؤثر على سلوكه، وعكس ذلك تماماً عندما تكون العلاقات مشوبة بالتوترت والخلافات والعصبية والانفعالات غير المنضبطة، فالطفل يتفاعل جداً مع مجتمع الأسرة وخاصة في سنوات عمره الأولى حيث تنحصر علاقاته داخل الأسرة فقط.

٢) التطرف في معاملة الوالدين لطفلهما:

في اتجاه العنف: معاملته بالعنف والتسلُّط وكثرة الانتقاد مما يولِّد فيه العصبية.

في اتجاه التدليل: معاملته بتدليل زئد والخضوع لكل طلباته مما يولِّد فيه العصبية أيضاً وذلك كرد فعل عند رفض طلباته، أو التغيير في أسلوب معاملته لميلاد طفل جديد مثلاً، أو انشغال الوالدين بأمور جديدة في حياتهما كعمل الأم مثلاً، فبعدما كانت مشغولة به أغلب الوقت صار محروماً منها.

٣) نتيجة لترسيبات نفسية مع مرور الوقت:

وذلك انعكاساً للمعاملات المحيطة به في كونه محبوباً أو غير مرغوب فيه، منبوذ أم أنه موثوق فيه. عندئذ يترسَّخ في داخله حالة من الرضى عن النفس، أم أنه يشعر بعدم الرضى، مما يتولَّد عن ذلك ضيق وعصبية وأحياناً نوع من الاكتئاب.

٤) التثقيل على الطفل بالدراسة فوق طاقته:

فالطفل المصري يتعرّض لضغوط في التعليم بما لا يتعرّض له أغلب أطفال العالم. فالأطفال في العالم المتحضّر يتحصلون على التعليم من خلال ممارسة الهوايات والأنشطة، وأطفال العالم المتحضّر لا ينشغلون بالمذاكرة في بيوتهم إلا فيما ندر وفي الأعمار الكبيرة نسبياً. أما الطفل المصري فمع بداية التحاقه بالمدرسة يبدأ معها معاناة الامتحانات والدروس الخصوصية وشنطة الكتب التي تؤثر سلباً على عموده الفقري، يُضاف إلى ذلك وقوع الطفل تحت ضغوط الأسرة للاستمرر في التميز والتفوق على كل أقرنه منذ نعومة أظافره، مما يخلق روحاً تنافسية على أعصاب الطفل.

٥) الشعور بالعجز مقارنة بمن هم في سنه:

إما لضعف القدرت الذهنية والنفسية والعقلية

وإمّا للضعف الجسدي
- ضعف البصر.
- ضعف البنية أو تشوهها.
- كثرة الأمرض في فترة الطفولة.

٦) الشعور بالعزلة والوحدة:

لأسباب عديدة منها:

- وجود الطفل في مجتمع من الكبار فقط كالابن الوحيد مثلاً.

ـ عدم الاختلاط بأسر لها أولاد في عمره.

ـ عدم المشاركة الفعالة في أنشطة من هم في سنه سواء في الكنيسة أو المدرسة أو النادي أو الشارع.

٧) التمييز في المعاملة بين الأبناء:

كالتمييز بين الأكبر والأصغر/ البنت والولد / الأذكى والأقل ذكاء / الأجمل والأقل جمالاً ...

٨) أسباب مرضية:

يوجد العديد من الأمرض التي تسبب العصبية لدى الطفل:

منها
- اضطرب الغدة الدرقية بزيادة إفرزتها عن الحد الطبيعي.
- مرض الصرع.
- اضطرب المعدة وآلامها.

٩) الطفل العبقري:

فقد يكون مستوى ذكاء وقدرت الطفل العقلية أعلى بكثير ممن في عمره، وفي مرحلته الدرسية، ويوجد فارق كبير في الإمكانيات عمن حوله. مما يؤدي إلى غضب الطفل داخلياً مع الشعور بالملل من الأسلوب الرتيب في شرح الدرس بما يتناسب مع عقلية الآخرين، وقد يؤدي ذلك إلى كثرة الحركة في الفصل وعدم تجاوبه مع المدرس مما يؤثر بالسلب على جديته في المذاكرة، وقد يولّد فيه عصبية زئدة. وهنا أتذكر في إحدى زيارتي الأسرية ومتابعة الأبناء في حياتهم الروحية، أتذكّر صبياً في أولى إعدادي كان يرفض بإصرار الذهاب لمدارس الأحد، لأنه يرى أن أسلوب الخادم يتناسب مع طفل في المرحلة الابتدائية بما يعني عدم احترم عقلية الصبي.

وفي الدول المتحضّرة يتم نقل مثل هؤلاء الأطفال إلى السنوات الدراسية الأعلى، وفي أحيان كثيرة يضعونهم في برنامج تعليمي خاص يتناسب مع عقلياتهم مما يزيد من قدراتهم، والذي يؤدي بالتبعية إلى إعداد عباقرة وعلماء المستقبل. كل ذلك مع الحفاظ على نفسية الطفل هادئة مستقرة.

والخلاصة:

عصبية الطفل ليست وراثة بيولوجية بقدر ما هى سلوك مكتسب لدى الطفل ممن حوله، أو سلوك قهري نتيجة الكبت أو التدليل.

أعراض العصبية عند الطفل:

١ـ سهولة الاستثارة.
٢ـ الغضب والثورة لأقل الأسباب.
٣ـ مصّ الأصابع حتى سن متقدمة (١٠ ـ ١٢ سنة).
٤ـ قرض الأظافر حتى اللحم مما يشوّه أصابعه.
٥ـ العنف مع الحيوانات والطيور والأطفال الأصغر.
٦ـ حركات عصبية لا إرادية تتحول إلى عادة يصعب التحكُّم فيها، ومنها (هز الرجل ـ رمش العين ـ حركة جانبية للفم ـ حركة باليد أمام الوجه ـ تحريك الرقبة لأعلى وأسفل أو للجانبين بطريقة عصبية وملفتة للانتباه).
٧ـ حركات عصبية قد تصل إلى حد التشنجات الهستيرية.
٨ ـ وأخف مظاهر العصبية هو البكاء الذي يصل إلى الصراخ مع اضطراب في التنفس.

هذه المظاهر والأعراض لا يمكننا إثناء الطفل عنها بالأوامر، علينا أن نتصرّف بحكمة مع وجود خطة بعيدة المدى.

علاج مظاهر العصبية:

١ ـ لا بد من البحث عن الأسباب ومحاولة اقتلاعها لعلاج النتائج.

٢ ـ عدم اللجوء نهائياً للعقاب لأنه يزيدها.

٣ ـ لا بد من الاهتمام بالدفء الأسري.

٤ ـ إشباع احتياجات الطفل ← النفسية بالحب.
← الحركية باللعب والخروج.
← الاجتماعية بوجوده وسط أصدقاء من نفس السن والجنس والمستوى الاجتماعي.

٥ـ تنمية المواهب الفنية والرياضية لدى الطفل ومشاركته في ممارستها حتى يشعر معها بالاهتمام.

رابعاً: الطفل والتخريب

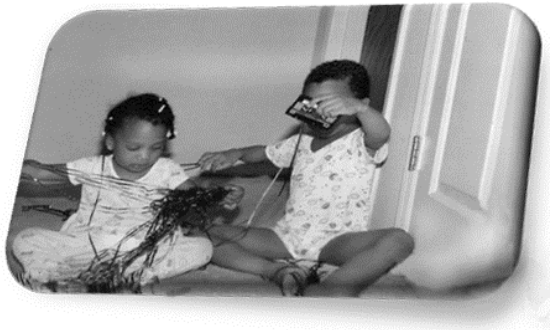

وهنا أضع أمام القارئ العزيز بعض التساؤلات:

- لماذا يقلب الأطفال الدولاب رساً على عقب؟
- لماذا يعبثون بأي حجرة يدخلونها؟
- لماذا يمزقون الصحف والمجلات والكتب؟
- لماذا يخلطون الألوان ببعضها بهدف إتلافها؟
- لماذا يفككون اللعبة ويتلفونها؟

للإجابة على هذه الأسئلة نقول:

١) هذا ليس تخريباً، فليس كل إتلاف تخريب.

٢) هذا يسمى حب استطلاع أوجده اللَّه فينا منذ طفولتنا لتوسيع مداركنا.

٣) هذه نعمة من اللَّه لأجل تنمية معرفة الطفل ولإكسابه قدرت عقلية وعصبية وعضلية.

ومن هنا يمكننا ملاحظة بعض التطورت في حياة الطفل وسلوكياته كالآتي:

١) البداية محاولة الإمساك بكل ما حوله للتعرُّف على الأشياء.

٢) بعد فترة ومع النمو العضلي والعصبي نجده يقذفها ويلقيها على الأرض ليتعرّف على النتائج.

٣) اللعب في الماء لأن الماء يختلف عن كل الأشياء الأخرى المحيطة به، ا يشد انتا اهه ويجد أنه ن الهل التعا ل عه.

٤) بعد فترة نجده عند البحر يخلط الماء بالرمل، ويشكّل منه أشياء كنوع من الاختراع والابتكار المبكّر.

٥) بعد نمو عضلاته وأعصابه يبدأ في تفكيك ومحاولة إعادة تجميع وتركيب ما حوله لأجل المزيد من التعرُّف على الأشياء.

٦) خلط الألوان ببعضها لإعجابه بقدرته على تغيير الألوان من خلال الألوان الجديدة التي تكوّنت على يديه.

٧) قصّ الأوراق يستهويه جداً حيث يشعر بقدرة على التحكُّم فيها.

٨) اللعب في أشياء تخصّ الكبار كساعة والده، قلم أخوه، سلسلة أخته. مفاتيح والده ... في هذا كله يحاول الاقتراب من عالم الكبار.

٩) في مرحلة متقدمة يبدأ في استخدام الأقلام الملونة للتلوين وابتكار رسومات.

ومن خلال كل هذا يدرك الطفل الكثير من الأمور، منها الألوان واختلافها، الأوزان، الأبعاد والأحجام ... ويدرك اختلاف الأشياء عن بعضها في أمور عديدة.

إن عالم الطفولة عالم صغير يتعرف على العالم الكبير من حوله.

عالم الطفولة عالم صغير يدخل في دائرة عالم الكبار للتعرُّف عليه.

إن الطفل عالِم وعبقري صغير يسعى للإختراع والإبتكار

ولكن لا بد من توقُّع بعض الآثار السلبية كالإتلاف أو التخريب، ولكنها ثمن بسيط يجب أن نستوعبه لأجل تنمية قدراته:

لكن السؤال المهم: ما هو دورنا أمام ما يحدث من إتلاف وتخريب؟

١- عدم معاقبة الطفل:

لأن العقوبة ← لن تمنعه من تكرار الأمر، فالرغبة لديه أقوى من العقوبة.
← ستعطّل فيه قوى التفكير والابتكار.
← ستدفعه للتحايل والكذب لإخفاء النتائج السلبية.

٢ـ مساعدة الوالدين له لممارسة اكتشافاته ولكن تحت إشرفهم وبمساعدتهم له لتكميل قدرته المحدودة بقدرتهم على أن يتركوا له المبادرة حتى لا تعطل تنمية قدرته على المبادرة والابتكار.

٣ـ إعطاؤه فرصة استخدام المقص في التقطيع مع مرعاة الآتي:

+ توفير مقصّ غير حاد وليكن من البلاستيك ومقدمته مستديرة غير مدببة.

+ توفير أورق أو صحف غير مطلوبة وممكن الاستغناء عنها.

+ مشاركته في جمع مخلفات التقطيع ووضعها في سلة المهملات حتى يتعوّد على ذلك من صغره.

٤ـ علينا إغلاق أي أماكن نخشى عليها منه أو نخشى منها عليه.

٥ـ علينا أن نسمح له بفك بعض اللعب تحت إشرفنا.

٦ـ توفير لعب يسهل فكها وتركيبها.

٧ـ توفير ألوان غير ضارة صحياً مع تشجيعه على الرسم والتلوين وتعليق ما يرسمه على الجدرن.

٨ ـ الخروج المتكرر بالطفل إلى الأماكن المتسعة لتنمية قدرته على التمييز بين الطيور والحيوانات والنباتات والأشخاص، ولأجل استنفاذ طاقته إيجابياً.

٩ـ تخصيص مكان في المنزل توضع فيه اللعب الخاصة به، وفي هذا المكان يمارس هواياته.

ماذا عن الطفل المخرِّب بالفعل؟

بالفعل يوجد طفل مخرّب، حيث يزيد عن أقرنه في الميل للتخريب.

أسباب الميل للتخريب لدى الطفل :

١) النمو الجسمي وزيادة النشاط مع ضيق المكان بما لا يسمح له بحرية الحركة وممارسة نشاطه.

٢) الوحدة والفرغ وعدم وجود مَن يهتم به أو يشاركه في أنشطته، مما يؤدي إلى تفريغ طاقته سلبياً فيما حوله ومما قد يصل إلى حد التخريب.

٣) زيادة إفرازات الغدّة الدرقية مما يزيد توتره وكثرة حركاته وعدم قدرته على الاستمرار في مكان واحد.
٤) اضطرابات في الغدد مما يؤثر سلبياً على التناسق الحركي وبالتالي عدم التحكُّم في الأشياء بما يتناسب مع سنه.
٥) النمو الجسمي الزائد والأسرع من المعتاد والذي لا يوازيه نمو في العقل والذكاء، وبالتالي قد تخرَّج تصرُّفات الجسد عن سيطرة العقل.
٦) إثبات الذات وإشغال مَن حوله به من خلال أعمال التخريب، فهو يرغب في أن يكون محور الاهتمام بصورة إيجابية أو حتى سلبية.
٧) بدافع الانتقام من الأهل، وهذا ما يحدث كثيراً في الأُسر المفككة والتي ينتشر فيها العنف.

هل من علاج للطفل المخرّب؟

دائماً ـ وكما سبق أن ذكرنا ـ يرتبط العلاج بمعرفة السبب:

١) إذا كانت الأمور في الحدود الطبيعية، فعلينا ألا ننشغل بها وعلينا فقط المتابعة والمشاركة والتوجيه.
٢) إذا كان وراء هذه التصرفات أسباباً من السابق ذكرها فعلينا تجنُّب الأسباب حتى يمكننا تجنُّب النتائج.
٣) إذا تأكدنا من وجود أسباب عضوية لهذه الظاهرة فعلينا الإسراع بالعرض على الطبيب المختصّ، فربما يكون من وراء ذلك أسباباً مرضية كالسابق ذكرها.
٤) الاهتمام بإظهار الحب والعاطفة وعدم القسوة عند الخطأ.
٥) إعطاء الطفل مساحة للتعبير عن غضبه لأن الكبت قد يولد انفجاراً تخريبياً.
٦) تقليل القيود المحيطة بالطفل تدريجياً مع معدل نموه العقلي والعصبي والعضلي.
٧) السعي لاكتشاف مواهب الطفل والتشجيع على ممارستها.
٨) إتاحة فرصة وجود أصدقاء يلهو معهم بين الحين والآخَر حتى نجنبه الميل للتخريب.

الطفل والسرقة

السرقة من أهم الخطايا المنهي عنها:

فمنذ بداية الخليقة والوصايا الإلهية تحذّر من خطية السرقة، من هذه الوصايا ما يلي:

+ **"ولا تسرِقْ"** (خر ٢٠ : ١٥) حيث نهى عنها اللَّه في وصاياه المكتوبة بيده والتي سلَّمها لموسى النبي، وتكرر النهي في **"ولا تسرِقْ"** (تث ٥ : ١٩).

ولأهميتها كررها السيد المسيح للشاب الغني عندما طلب منه قائلاً: **"ولكن إنْ أردتَ أن تدخُلَ الحياةَ فاحفَظِ الوصايا. قالَ لهُ: أيَّةَ الوَصايا؟ فقالَ يَسوعُ: لا تقتُلْ. لا تزنِ. لا تسرِقْ. لا تشهَدْ بالزُّورِ. أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ، وأحِبَّ قريبَكَ كنَفسِكَ. قالَ لهُ الشّابُّ: هذه كُلُّها حَفِظتُها منذُ حَداثَتي. فماذا يُعوِزُني بَعدُ؟"** (مت ١٩ : ١٦ـ ٢٠).

وفي هذا يؤكد السيد المسيح على أن عدم السرقة هو أحد أهم مؤهلات الدخول إلى الحياة الأبدية، ولهذا كانت تشريعات عديدة متعلقة بدرجات السرقة وأنواعها كما في سفر الخروج: **"إذا سرَقَ إنسانٌ ثوْراً أو شاةً فذَبَحَهُ أو باعَهُ، يُعَوِّضُ عن الثَّورِ بخَمسَةِ ثيرانٍ، وعنِ الشّاة بأربَعَةٍ من الغَنمِ. إن وُجِدَ السّارِقُ وهو يَنقُبُ، فضُرِبَ ومات، فليس لهُ دَمٌ. ولكن إن أشرَقَتْ عليه الشَّمسُ، فلهُ دَمٌ. إنَّهُ يُعَوِّضُ. إن لم يكُنْ لهُ يُبَعْ بسَرِقَتِهِ. إنْ وُجِدَتِ السَّرِقَةُ في يَدِهِ حَيَّةً، ثوْراً كانت أم حِماراً أم شاةً، يُعَوِّضُ باثنين** (خر ٢٢ : ١– ٤).

والكتاب المقدَّس يؤكد على عدم وجود أي مبرر لارتكاب خطية السرقة، فنقرأ في سفر الأمثال: **"لا يَستَخفّونَ بالسّارِقِ ولو سَرِقَ لِيُشبعَ نَفسَهُ وهو جَوْعانٌ. إنْ وُجِدَ يَرُدُّ سبعَةَ أضعافٍ، ويُعطي كُلَّ قِنيَةِ بَيتِهِ"** (أم ٦ : ٣٠ ـ ٣١).

وهنا يؤكد سليمان الحكيم على عدَّة أمور:

- إن الفقر والجوع ليسا مبرراً للسرقة.
- ضرورة معاقبة الفقير الجوعان الذي يسرق ليسدد احتياجه.

ومن هنا نلاحظ تغليظ ومضاعفة عقوبة السارق، فيعاقب بعقوبتين: الأولى أرضية، والثانية سماوية أبدية.

١- العقوبة الأرضية :

كما في **"إذا سرَقَ إنسانٌ ثوْراً أو شاةً فذَبَحَهُ أو باعَهُ، يُعَوِّضُ عن الثَّوْرِ بخَمسَةِ ثيرانٍ، وعَنِ الشّاةِ بأربَعَةٍ مِنَ الغَنَمِ. إنْ وُجِدَ السّارِقُ وهو يَنقُبُ، فضُرِبَ ومات، فليس لهُ دَمٌ. ولكن إنْ أشرَقَتْ علَيهِ الشَّمسُ، فلهُ دَمٌ. إنَّهُ يُعَوِّضُ. إنْ لم يَكُنْ لهُ يُبَعْ بسَرِقَتِهِ. إنْ وُجِدَتِ السَّرِقَةُ في يَدِهِ حَيَّةً، ثَوْراً كانتْ أم حِماراً أم شاةً، يُعَوِّضُ باثنَينِ"** (خر ٢٢ : ١ ـ ٤).

حيث يعوض سارق الثور الذي ذبحه وباعه بخمسة ثيران، والشاة بأربعة، والسارق الذي يموت من الضرب أثناء تلبُّسه بالسرقة فلا دية له، ومن يتم ضبطه والسرقة في يده يعاقب بضعفها ... وهكذا.

٢ـ العقوبة السماوية الأبدية:

فنقرأ لمعلمنا بولس الرسول **"ولا سارِقونَ ولا طَمّاعونَ ولا سِكِّيرونَ ولا شَتّامونَ ولا خاطِفونَ يَرِثونَ ملكوتَ اللَّهِ"** (١كو ٦ : ١٠).

وهو ما يؤكده زكريا النبي **"لأنَّ كُلَّ سارِقٍ يُبادُ مِنْ هنا بحَسَبِها"** (زك ٥ : ٣).

والسرقة تبدأ في الصِّغر كعادة مكتسبة تتحول مع الوقت ـ إذا لم يتم علاجها من خلال علاج أسبابها ـ إلى خطية يصعب التخلُّص منها.

ملاحظات هامة يجب أن يضعها الآباء والأمهات في الاعتبار:

١ـ يشعر كل طفل ابتداءً من نهاية العام الأول بالحاجة إلى الملكية والاستحواذ.

٢ـ يشعر الطفل بنوع من الظلم عندما يرى أن كل ما حوله يملكه ويتحكّم فيه الكبار، وأنه لا يمتلك شيئاً في كل ما حوله سوى ملابسه، وحتى ملابسه لا يمتلكها بل توضع حسبما يرى الكبار ولا يخرجون منها إلا وفقاً لرؤيتهم. وإحساس الطفل بالظلم يولِّد لديه الرغبة في الاعتداء على ملكية الغير. سواء باللعب فيها أو بها أو إتلافها أو امتلاكها.

٣ـ لا بد من التبكير بتوليد الإحساس لديه بأن له ملكية خاصة يتحكّم هو فيها.

٤ـ لا بد من توفير مكان خاص لكل طفل يحتفظ فيه بممتلكاته بما في ذلك ملابسه.

٥ـ أهمية مرعاة اختلاف ملابس وهدايا الإخوة في الشكل أو في الألوان ليشعر كل منهما بملكيته الخاصة.

٦ـ تدريبهم على تبادل اللعب والهدايا ولو لفترت محدودة لتنمية روح المشاركة بينهم ولتحصينهم من آفة الأنانية. ومن الأمور الهامة التي تؤدي إلى نفس الأهداف ولكن بصورة أقوى هو عند شراء الهدايا يرعى بين الحين والآخر شراء الهدايا التي لا يمكن اللعب بها إلا من خلال اثنين، فالمشاركة معاً في لعبة واحدة تنمّي فيهم روح المشاركة والعمل الجماعي من سن مبكر.

٧ـ لتنمية احترمهم لملكية الغير علينا أن نقدّم ذواتنا قدوة لهم من خلال احترمنا لملكيتهم الخاصة بعدم الاقترب منها أو التصرُّف فيها إلا بالتفاهم معهم وفي وجودهم.

٨ ـ في حالة تفشّي ظاهرة اختفاء الأشياء علينا:

أولاً: أن نتعامل مع الأمر بحكمة وهدوء دون انفعال.

ثانياً: البحث عن الأسباب لأجل الوصول للعلاج السليم للظاهرة.

دوافع السرقة عند الطفل:

١) الجهل بمعنى الملكية الخاصة والجهل بمبدأ ملكية الغير، فعلينا واجب تنمية هذه الأفكار عند الطفل منذ الصِّغر كما سبق وذكرنا.

٢) الحرمان هو أحد دوافع السرقة عند الطفل، كأن يسرق طعام غير متاح له في الوقت الذي يجده متاحاً للغير، أو سرقة الطعام بسبب جوعه وخجله من أن يطلب وخاصة إذا كان في مكان غير بيته. وعلى نفس المنوال نجده يسرق لعبة غيره لعدم اقتناءه مثلها، وهكذا سرقة ألوان زميله في الفصل لنفس السبب. وهنا تظهر مشكلة الأطفال مختلفي المستوى الاجتماعي في مدرسة أو حضانة أو خدمة التربية الكنسية. ونجد هذه الظاهرة عند اصطحاب شغالة لطفلها معها في بيوت الذين تعمل لديهم.

٣) الانتقام من الغير:

* كمَن يسرق نقود أهله انتقاماً منهم بسبب قسوتهم عليه.
* ومَن يسرق أشياء تخصّ أخيه لأنه يشعر أنه مميز في البيت عنه.
* أو سرقة قلم زميله لأنه لا يحبه.

٤) سرقة النقود للظهور بمظهر الأفضل أمام الأصدقاء وخاصة في المدرسة، حيث يرى في نفسه أنه أقل ممن حوله في المستوى الدرسي أو لضعف شخصيته أو لأنه أفقر منهم، فيحاول أن يستعيض عن ذلك بالبذخ في الصرف مما يضطره للسرقة، وهذا ما نسميه (عقدة النقص).

٥) السرقة كتقليد للآخرين (أخ أو زميل)، فالعادات السيئة كالسرقة تنتقل للآخرين بسرعة.

٦) سرقة المال لإشباع هواية تحتاج للمال (ركوب العَجل ـ بنج بونج ـ المشاركة في ألعاب الملاهي ...) إذا كان في رحلة مع الكنيسة أو المدرسة.

٧) السرقة للضعف العقلي أو انخفاض الذكاء وتحكُّم الآخرين فيه، حيث يجد نفسه فيما يملك.

٨) السرقة كنوع من المرض النفسي والذي يحتاج إلى نوع من الرعاية الطبية النفسية المتخصصة.

٩) السرقة بسبب المعاشرات الردية ووجوده في بيئة إجرامية سواء في البيت أو خارجه.

دور الأهل في علاج ظاهرة السرقة عند الطفل:

١) البحث عن الأسباب كما سبق وذكرنا.

٢) التأكُّد من تكرار السرقة من عدمه.

٣) معرفة درجة ذكاء الطفل للتعامل معه وفقاً لذكائه.

٤) البحث عن وجود شخص يقوم الطفل بتقليده أو التمثل به في السرقة.

٥) الاهتمام بالدفء الأسري.

٦) الاهتمام باختيار الأصدقاء.

على أن يكونوا:
- من نفس المستوى الاجتماعي.
- من مجتمع الكنيسة.
- من الأقارب.

٧) الاهتمام بالمراقبة والمتابعة واستخدام الأسلوب الهادئ والمُقنع.

٨) الاهتمام بتوفير احتياجات الطفل وفقاً لإمكانياته وسنه.

٩) عدم استخدام العنف في العقوبة.

١٠) عدم إكراهه على الإقرار بالتفاصيل لئلا يولِّد ذلك فيه عادة الكذب لإخفاء الأمر، ولعلنا نتذكَّر السيد المسيح الذي لم يجبر المرأة السامرية على سرد التفاصيل، بل أكمل لها ما لم تذكره بصورة لا تجرح مشاعرها، فبدأ وأنهى حديثه بكلمات تحمل مشاعر الحب والتكريم: "حسناً قلتِ ... هكذا قُلتِ بالصدق".

الفصل السادس

الطفل واللعب

الطفل واللعب

لقد أوجد اللَّه في الطفل غريزة محبة اللعب والألعاب لأنها تُنمّي قدرته العضلية والعصبية والعقلية. كما أنها تُنمّي في داخله العلاقات الاجتماعية وحياة الشركة والعمل الجماعي من خلال شركائه في اللعب. ومن هنا يجب علينا أن نوفر له المجال والمكان والوقت والأصدقاء لممارسة اللعب.

ملاحظات حول الطفل واللعب:

أولاً : توفير مكان مناسب للعب:

ـ حجرة خاصة او مكان خاص
- بلكونة
- سطح البيت.
- ركن في حجرة.
- حجرة مخصصة.

ـ أماكن متسعة خارج البيت كالحدائق والأندية والكنيسة.

وهنا أهيب بالكنائس بتوفير أماكن وألعاب لتمكين الأطفال من ممارسة اللعب تحت إشرف الخدام. وأرجو ألا يقتصر نادي الكنيسة على ممارسة الكبار للألعاب فالأطفال هم الأكثر أهمية.

وفي اهتمام الكنيسة بلعب الطفل عليها الآتي:

ـ توفير مكان مستقل للأطفال.

ـ تحديد مواعيد محددة.

ـ وجود مشرفين على الأطفال أثناء لعبهم.

ـ تجنب الألعاب الخطرة على الطفل.

ثانياً : شركاء اللعب:

فعلينا مراعاة
- الانفتاح على عائلات تناسبنا ظروفها.
- مشاركة الآباء والأمهات لأولادهم لبعض الوقت للعب معهم.
- ترتيب الذهاب لمشاركة أطفال الكنيسة في اللعب.

ثالثاً : نوعية اللعب التي نوفرها للطفل:

١) ألعاب تُنمّي الحركة والقدرات الجسدية من سن مبكر:

"لأنَّ الرِّياضَةَ الجَسَديَّةَ نافِعَةٌ لقَليلٍ، ولكن التَّقوَى نافِعَةٌ لكُل يءٍ" (١تى ٤ : ٨).

في البداية نقدِّم للطفل الألعاب التي تُنمّي الأعصاب وعضلات اليد والزرعين، وبعد ذلك نقدّم له ألعاب تعطيه حركة في الحجرة كبعض الكور الإسفنج الصغيرة الملوّنة التي لا تسبب له أي أذى، ومع زيادة العمر نقدم له ألعاب تُنمّي باقي عضلات جسمه ومنها عضلات رجليه وفخذيه بالإضافة لذرعيه.

٢) ألعاب تُنمي الحواس:

كألعاب يخرج منها أصوات طيور أو حيوانات مع صورتها المرتبطة بصوتها، وألعاب تُنمّي الأبعاد والأشكال والأوزن، وألعاب تُنمّي التمييز بين الألوان. وفي مرحلة ما نقدّم له ألعاب إلكترونية تُنمّي فيه هذا وذاك بصورة أفضل.

٣) ألعاب معاصرة تُنمي العقل:

من أفضل الأشياء المحبَّبة للطفل هى الألعاب، وفي نفس الوقت أفضل وسائل تنمية عقل الطفل هى الألعاب، ومن هنا كان من الحكمة استخدام أمور محبَّبة للطفل (الألعاب) لتنمية قدرته العقلية.

فالمدارس الأجنبية سبقتنا كثيراً في هذا الأمر حيث أن الطفل في سنواته الدرسية الأولى يتحصل على دروسه من خلال اللعب والألعاب، لذا نجده يذهب

لمدرسته فرحاً، وفي نهاية العام يشعر بحزن عميق لأنه سيبعد عن ألعابه وعن شركاء اللعب بالمدرسة.

في مرة ذهبت إلى متحف للأطفال في بتسبرج في ولاية بنسيلفانيا، فوجدت مجموعات كبيرة من أطفال المدارس يتعلّمون كل العلوم ابتداءً من أعمال السباكة والنجارة إلى علوم الفضاء من خلال الألعاب. فعلى الأهالي البحث عن الألعاب النافعة لتنمية القدرات العقلية ولتنمية المعرفة لدى الطفل.

٤) ألعاب لا يوجد منها أي خطورة على الطفل:

ليت المحافظة على صحة وحياة الطفل تكون أحد اهتماماتنا ونحن نبحث له على هدية، فنتجنب الهدايا التي بها أجزاء حادة أو أصباغ ضارة بالصحة.

٥) ألعاب تناسب سن الطفل وإمكانياته:

فأرجو ألا يشغلنا سعر اللعبة بقدر أن تكون مناسبة لسن الطفل وإمكانياته وإلا سوف تكون النتيجة إهمال الطفل لها أو سرعة تفكيكها والقضاء عليها.

٦) ألعاب تُنمّي روح المشاركة مع الآخرين:

"إن كانَت تسليَةٌ ما للمَحَبَّة. إنْ كانَتْ شَرِكَةٌ ما في الرّوحِ" (في ٢ : ١).

فعلينا من سن مبكر الاهتمام بتنمية روح الشركة والعمل الجماعي الذي يعمّق روح الحب بين الأطفال، وذلك بشراء الألعاب التي لا يمكن ممارستها إلا من خلال اثنين. علينا مثلاً أن تكون هدية عيد الميلاد للجميع في هذا العام من تلك الألعاب الجماعية مضافاً إليها لعبة صغيرة قليلة التكلفة يمكنه أن يلعب بها منفرداً.

٧) تجنُّب حصول الطفل على تليفون محمول من سن مبكّر:

الأمر هنا لا يتعلّق باستخدامات التليفون في الاتصالات، ولكن يتعلَّق بكثرة استخدامه للألعاب الإلكترونية (Games) من خلال التليفون، فإن ذلك سيؤدي إلى

عزل الطفل وفصله تماماً عن مجتمع الأسرة لساعات طويلة كل يوم، مما يؤدي إلى نتائج سلبية تنعكس على شخصيته مع مرور السنوات.

رابعاً: إبعاد كل ما هو ضار عن أماكن وجوده:

يـ سعى الطفل في الـ مرحل الـ سنية الأولى و بصورة غريزية لاكتشاف ما حوله، ولكن قدرته على التمييز بين ما هو نافع وما هو ضار في مثل هذا السن محدودة جداً. لذا علينا في السنة الأولى والثانية من عمره مرعاة الآتي:

١ـ وضع حواجز تمنع خروجه من المنطقة المسموح له الوجود فيها إلا من خلالنا، على أن نضع له فيها ما يناسبه من ألعاب وخاصة أثناء انشغال والدته في المطبخ.

٢ـ رفع كل ما هو حاد من أمام الطفل (سكينة ـ مقصّ ـ قاطع cutter ـ ...).

٣ـ رفع كل ما هو قابل للكسر من منطقة تواجده.

٤ـ رفع أي أجهزة أو توصيلات كهربائية متصلة بمصدر الكهرباء لأنه سيسعى للوصول إليها ويحاول جذبها، وربما يمسك بأسلاك يسير فيها تيار كهربائي.

٥ـ عدم حَمل الأم لطفلها على ذرعيها أثناء وجودها في المطبخ لأنه من الممكن أن يحرّك رجله أو ذرعه بصورة غير متوقعة تجاه أشياء ساخنة.

خامساً: لا ينبغي أن ننتهره أو نعنفه أثناء لعبه:

+ قد تفاجأ الأم عند عودتها من المطبخ إلى طفلها بأن الطفل يعبث في أشياء ثمينة، أو أنه قام بتقطيع كتاب أو جريدة أو مجلة. وقد تنزعج الأم وهى مع صديقتها بالصخب وبالصوت المرتفع الذي يفعله الطفل دون مرعاة للضيف، وهى لا تدرك أنها هى السبب لأنها انشغلت عنه بضيوفها.

+ قد تفاجأ الأم بالطفل يلعب بالمياه في الحمام، مما يؤدي إلى سريان المياه في الـ يت وا تلال لا ⬆ه.

+ قد تفاجأ الأم بهذا وبغيره من تصرفات الطفل مما يدفعها للغضب والانفعال والصراخ، وبالتالي انتهار وتوبيخ الطفل وربما ضربه.

وهنا أقول لكِ يا سيدتي الفاضلة: أنتِ السبب في كل هذا! لماذا تركتيه وحده كل هذا الوقت؟ ولماذا لم ترفعي ما تخافين عليه من أمامه؟ ولماذا لم تغلقي باب الحمام من خلفك حتى لا يتسلل إليه؟ ولماذا؟ ولماذا؟

وفي نفس الوقت أقول لكِ: إن الطفل تصرّف حسب طبيعة سنه، ولكن أنتِ بانفعالك الزائد هذا تخرجين عن طبيعتكِ الهادئة، وتتصرفين بطريقة تتنافى مع ما يحتاجه الطفل منكِ. **فعوض الانفعال والعصبية عليك الآتي:**

١) العبي معه أطول وقت متاح لكِ، ولا تنشغلي عنه كثيراً وخاصة بالآخرين، أو أتركيه مع آخَر لتسليته.

٢) اشركيه معكي في ترتيب وتنظيم مكانه بأن تعطيه أجزاء لعبة ليضعها بنفسه في صندوق خاص، ومع الوقت سيتحول الأمر إلى عادة لديه.

٣) اشتركي معه في تنظيف ما نتج عن لعبه فيتعلّم مهارات النظافة والحفظ على النظام.

سادساً : لا ينبغي أن نطلب منه أو نتوقع منه ما يتعارض مع طبيعته وسنه:

فلا يمكن أن نطالبه أن يتصرَّف كالكبار، ولقد مررنا جميعاً بهذه المرحلة وقد احتملنا آباؤنا وأمهاتنا، وفي هذا يقول معلمنا بولس الرسول: **"لمّا كُنتُ طِفلاً كطِفلٍ كُنتُ أتكلَّمُ، وكطِفلٍ كُنتُ أفطَنُ، وكطِفلٍ كُنتُ أفتكِرُ. ولكن لَمّا صِرتُ رَجُلاً أبطَلتُ ما للطِّفلِ"** (١كو١٣ : ١١).

سابعاً : الطفل والصوت العالي:

١) يتميز الطفل عن الكبار بحنجرة بِكر بطبيعتها تتميز بالصوت النقي الحاد المرتفع، يُضاف إلى ذلك أن الطفل يُعبّر بتلقائية شديدة بصوته فترتبط

انفعالات الفرح أو الخوف أو الحزن بالصوت العالي دون إدراك لآثاره السلبية على الآخرين.

٢) الطفل في صغره ليس لديه إمكانية الكلام، لذا يستخدم الصراخ أو البكاء لجذب انتباه مَن حوله، ولأجل تسديد احتياجاته، وفي أحيان أخرى لمجرّد الإعلان عن نفسه وعن وجوده في حالة إهماله، وفي أحيان أخرى للتعبير عن سعادته وفرحته.

فعلينا هنا ألاّ ننتهره أو نعنّفه بسبب صوته العالي، وعلينا ألاّ نتجاهله مهما ارتفع صوته، بل علينا معرفة الأسباب وراء ذلك، فربما يكون محتاجاً لشيء أو محتاجاً لبعض من مشاعرنا واهتمامنا، أو مشاركتنا له في لعبه أو مشاعر فرحه.

ثامناً: الطفل والتعامل مع الحيوانات والطيور:

علينا أن نُعَوِّد أطفالنا منذ الصِغر على الحيوانات والطيور من خلال عدّة أمور:

١) توفير صور أو دمي للحيوانات والطيور، وقد نجد في الأسواق لعب على هيئة حديقة حيوانات أو غابة بها الكثير من الأشجار والحيوانات والتي تحتاج منه في كل مرة إلى تركيبها، مما يُنمّي لديه الحركة، بالإضافة لتعرُّفه على الحيوانات وتنمية محبته لها.

٢) أصواتها وصورها من خلال بعض الألعاب الإلكترونية.

٣) وجود حيوانات أو طيور صغيرة ولكن داخل أقفاصها ليتعامل معها في البداية عن بُعد حتى يألفها، ثم نبدأ نحن في التعامل معها أمامه إلى أن يبادر هو بنفسه من الاقترب منها على أن تكون بداية التعامل تحت ملاحظتنا ... فالطفل يتعوّد على صغار الطيور والحيوانات بسرعة فيحبها ويلعب معها ويحتضنها لعدة أسباب:

- صِغر حجمها، فلأول مرة يجد كائن أصغر منه حجماً.

- تشترك معه في عدم القدرة على الكلام، بل تصدر أصواتاً غير مفهومة كما يفعل هو.
- حركتها التي تؤدي إلى حركته هو الآخَر.
- تفرغها له ووجودها تحت سلطانه في أي وقت.
- ألوانها الزاهية وشكلها الجميل.

ومن هنا أنصح الأمهات بالسماح بوجود طيور صغيرة كالعصافير الملوّنة، أو حيوانات صغيرة أليفة لا تنقل للطفل أي أمراض في دائرة البيت.

وهنا أشكر إلهي الصالح الذي أعادني إلى مشاعر الطفولة الجميلة وأنا أتخيل الطفل الذي بداخلي، أو الطفولة الجميلة التي عبرت على مرحلتها القصيرة عندما كنت طفلاً، فلقد كنت أحاول أن أتخيّل نفسي طفلاً وأنا أكتب عن الطفل وعن معاملة الطفل.

لقد كتبت عن كيفية معاملة الآخرين لي كطفل، ولعلّي أكون قد عبّرت في كتابتي عن كل طفل، ونقلت لكل العاملين في حقل الطفل عن كيفية النجاح في تربية وتنشئة الأطفال (كل المستقبل).

الفصل السابع

تساؤلات الطفل

يشكو الآباء والأمهات من أسئلة وتساؤلات أطفالهم:

وشكواهم ترجع إلى:

- كثرة أسئلة الطفل بصورة تحتاج لتفرُّغ والديه له.
- أسئلته في الكثير من الأحيان يصعب الإجابة عليها.
- بعض الأسئلة يستحيل الإجابة عليها.
- التوقيت الغير مناسب للأسئلة (قبل النوم ـ وقت الأكل ـ وقت انشغال الوالدين).
- ومن هذه التساؤلات: من أين جئت؟ لماذا ماما تلد وبابا لا يلد؟ لماذا يتزوّج الرجل بامرة؟ هل ممكن أتزوّج أختي؟ لماذا لا يوجد لبابا ثدي مثل ماما؟
- بالتأكيد أن هذه أسئلة غريبة وعجيبة، أسئلة لا يمكن أن نتوقعها من طفل صغير، أسئلة في الغالب لا تجد لها إجابة عند الآباء والأمهات، أسئلة يخطأ الآباء والأمهات إذا تجاهلوها ويخطئون إذا انتهروا الطفل عليها، أسئلة يخطئ الغالبية في نوعية الإجابة. لذا نحتاج لخبرة حتى نتعامل معها بصورة إيجابية وبنّاءة في حدود سن الطفل.
- ومن الأسئلة المحيرة أيضاً ما يتعلَّق بالإيمانيات، فقد يفاجئنا الطفل بأسئلة أكبر بكثير من سنه، ومنها على سبيل المثال: أين اللَّه؟ أين الجنة؟ لماذا يموت الناس؟ أين يذهب الموتى؟ أين تذهب الشمس بالليل؟

علينا قبل أن نطرح الإجابات المناسبة لكل هذه التساؤلات أن نستعرض بعض الحقائق:

أولاً: المراحل السنية المتعددة للطفل.

وفقاً للرؤية العلمية فإن مرحلة الطفولة تشمل ما بين الميلاد حتى سن ١٨ سنة، وقد يستغرب البعض من معاملة ابن ١٨ سنة كطفل بالرغم من نضجه الفكري والبناء الجسدي.

ولكن علينا أن ندرك أن النضوج يشمل
- نضوج عقلي.
- نضوج جسدي.
- نضوج نفسي.

وحقيقة الأمر أن النضوج العقلي والجسدي لا يكتمل عند سن ١٨ سنة، فالأكثر من ذلك أن النضوج العقلي والجسدي في الإنسان يسبق كثيراً النضوج النفسي، فابن الـ ١٨ سنة لا زال يحمل نفسية طفل، فلا يتحمّل مسئوليات أو ضغوط أو مشاكل يمكن أن يتحمّلها الآخرون. لذا نجد أن أغلب دول العالم لا تسمح بالزواج قبل سن ١٨ سنة لأن نفسيته لا تتحمل أعباء مسئوليات الزواج، فهو لا زال يحمل نفسية طفل بالرغم من شبه اكتمال نمو أعضاء الجسد.

ويمكن تقسيم مرحلة الطفولة إلى خمس مراحل متفاوتة:

- المرحلة الأولى حتى عمر سنتين.
- المرحلة الثانية من سنتين إلى خمس سنوات.
- المرحلة الثالثة من ٥ سنوات إلى ٨ سنوات.
- المرحلة الرابعة من ٨ سنوات إلى ١٢ سنة.
- المرحلة الخامسة من ١٢ سنة إلى ١٨ سنة.

ويُلاحظ أنه عند منتصف المرحلة الثانية تبدأ تساؤلات الطفل الغريبة، حيث قد تمكّن من الكلام وأمكنه التحرُّك دون مساعدة أحد، وعندئذٍ يبدأ يتعرَّف على كل ما حوله ومن حوله. فالطفل يتّسم بذكاء لا يدركه الكبار حيث يخطئ الكبار عندما يربطون الذكاء بالعمر، فدرجة الذكاء مرتبطة بالطفل منذ ولادته، أما ما يختلف من عمر لآخَر هو كم المعرفة وكم الخبرة المضافة. أعود فأقول أنه من خلال القدرة على الكلام مع الحركة مع الذكاء يبدأ الطفل في هذه المرحلة السنية في طرح أسئلته الغريبة.

ثانياً : لماذا يسأل الطفل؟

١) حب استطلاع:

أريدك أن تتخيل إنساناً فتح عينيه فوجد نفسه بين ناطحات سحاب نيويورك، أو بين أشجار الغابات الاستوائية، فسيجد نفسه غريباً ينظر إلى أعلى ليتعرَّف على ما حوله، ولحظتها سيلقي بالكثير من الأسئلة لمرافقيه حباً في الاستطلاع لمعرفة ما حوله. إن هذا الأمر يتطابق مع حال طفل صغير يتحرَّك بصعوبة على الأرض، فكل ما حوله يرتفع عنه بما لا يقاس ويختلف عنه في الكثير من الأمور، بل ويجد كل ما حوله يختلف عن الآخَر. وهنا يبدأ في طرح أسئلته للتعرُّف على ما حوله ولمعرفة الكثير من الأمور التي يجهلها. لك أن تتخيل أن هذا الطفل خرج فجأة إلى الشارع وسط سيارت تجري من حوله وحيوانات تتحرَّك، وكلها مختلفة عن بعضها، والأرض قريبة منه ولكن السماء بعيدة جداً وفي وسطها جسم مضيء شديد اللمعان (الشمس). كلها أمور جديدة عليه، فلا بد أن يسأل ليتعرّف على ما حوله.

٢) القلق والخوف والحيرة:

حيث يجد نفسه أصغر وأضعف وأبطأ من كل من وما حوله، حينئذٍ يبدأ يخاف من حيوانات ومن أشخاص ومن سيارت، يخاف من الليل ومن الظلمة، يخاف من الوحدة ومن الموت. وعند تهدئته يبدأ في طرح أسئلته عن الأشياء التي يخاف منها، ويحتاج لإجابات تملأ قلبه طمأنينة، فهو ـ في أسئلته عن مثل هذه الأمور ـ لا يبحث عن المعلومة ولكن يبحث عن مشاعر الطمأنينة.

٣) لفت الانتباه وجذب الاهتمام:

فهو يشعر أنه أصغر من الكل بل ويشعر بانشغال الكبار عنه، وانشغال والديه بالضيوف أو بمتابعة التليفزيون أو بقرءة الصحف، أو انشغال والدته في المطبخ. ولأجل جذب اهتمامهم به يبدأ في طرح الأسئلة، وهو لا يريد إجابة بل

يريد اهتماماً، فبمجرّد أن يجلسه والده على رجليه أو يجلس إلى جواره ليلعب معه تتوقف أسئلته تماماً.

٤) وسيلة للتعبير عن قدرته على الكلام:

فبمجرد اكتسابه القدرة على الكلام يشعر بسعادة، فلقد عاش شهوراً طويلة يسمع ولا يمكنه التعبير بالكلام، ولكن مع القدرة الجديدة يريد أن يتكلّم ولكنه لا يملك الموضوعات أو المعلومات أو الأحداث التي يتكلّم عنها ومن خلالها، فلا يجد أمامه وسيلة للتعبير عن هذه القدرة سوى بطرح الأسئلة.

٥) هروباً من أمر معين:

سبق واتفقنا على أن ذكاء الطفل يولد معه، والطفل يستغل هذا الذكاء في الهروب من أمور لا يرغب فيها ولكن يفرضها عليه والديه كالنوم والأكل أو المذاكرة في السن الأكبر، فيسعى للهروب منها بإشغالهم بأسئلته، ومن خلال إجاباتهم عليها يؤجل النوم أو الأكل أو المذاكرة.

ثالثاً: موقف الآباء والأمهات من أسئلة الطفل:

١) الضيق:

يرجع ضيق الآباء من أسئلة الطفل للأسباب التالية:
- كثرة الأسئلة.
- نوع الأسئلة.
- توقيت الأسئلة.

فهى غير مناسبة من حيث كثرتها، ومن حيث نوعيتها التي يصعب الإجابة عليها، ومن حيث توقيتها سواء وقت انشغال والديه أو قبل نومه أو أكله أو مذاكرته.

٢) التهرب من الإجابة :

ويكون التهرُّب من الإجابة ← إما لعدم معرفة الإجابة.
أو لطبيعة الأسئلة المخجلة والغريبة على سنه.

٣) التجاهل:

وهنا يتجاهل الآباء والأمهات أبناءهم وأسئلتهم بحجة المشغولية أو بحجة الصداع أو الميل للنوم أو غيرها من الأمور.

٤) التعنيف:

وقد يلجأ الوالدين لتعنيف الطفل لإيقاف سيل أسئلته الغريبة أو لدفعه للاهتمام بما هو مطلوب منه كالأكل، أو النوم أو المذاكرة، أو لإجباره على تركهم ليتفرّغون لعملهم أو لضيوفهم.

٥) الإجابة الخاطئة:

وربما لعدم المعرفة أو للهروب من الإجابة الصحيحة التي يرونها مخجلة أو أكبر من سنه.

٦) الإجابة الغير مناسبة للسن:

قد يرى الآباء والأمهات أن أسئلته هى أسئلة كبار السن فيجيبون عليه إجابات تتناسب مع السؤال دون إدراك أن الإجابات لا تتناسب مع سنه وربما تضره. *وهنا أريد أن أؤكد على حقيقة علمية*:

الطفل الذي لا يسأل هو شخص غير طبيعي،
بمعنى أن الطفل الذي لا يسأل هو طفل متخلّف،
أو أنه طفل غير سوي.

رابعاً : خطورة عدم الإجابة على أسئلة الطفل:

١) يدفعه إلى سؤال آخرين:

فعدم الإجابة لن تمنعه عن البحث عن الإجابة، فقد يضطر للجوء إلى الشغالة أو إخوته الكبار، وقد يعطونه إجابة خاطئة أو غير مناسبة لسنه، وربما تضره. وعلينا أن نعرف أن أي معلومة يتم تخزينها في ذهن الطفل يصعب إخرجها في الكِبر.

٢) يدفعه إلى الانفعال والعصبية:

فيتحوّل الطفل من مرحلة طرح الأسئلة على والديه إلى مرحلة الطفل المشاغب الصارخ المزعج، لأنه كان محتاج اهتمامهم به، ولفت انتباههم إليه بطريقة سلمية هادئة بطرح الأسئلة، ولكنهم لم يتجاوبوا معه. فهو يملك من الأدوات الأخرى ليجبرهم على الاهتمام به ومنها الصرخ وكثرة الحركة.

٣) يدفعه إلى الضيق والحزن:

حيث يتأثر نفسياً لإهماله وعدم الاهتمام بأسئلته، فيأخذ جانباً ويجلس حزيناً مُرّ النفس، وإذا تكرر الأمر يؤثر بالسلب على معنوياته.

٤) يولِّد فيه البلادة وعدم السعي للمعرفة:

فلقد حاول مرت عديدة وكانت النتيجة تكرر التجاهل، فانفعل وصرخ وما من مجيب، فحزن وتضايق ولم يهتم به أحد. في النهاية ينتابه الإحباط ولا يعد يسأل أو يهتم بالمعرفة مما قد يؤثر بالسلب على اهتماماته الدرسية فيما بعد.

خامساً : الإجابة السليمة ومواصفاتها:

١) تتسم بالبساطة التي تتناسب مع سن الطفل.

٢) ليس فيها كذب لئلا نفقد المصداقية أمام أبنائنا.

٣) قصيرة ومركزة.

٤) محدّدة.

٥) إن أمكن أن تكون الإجابة مستخلصة منه هو عن طريق الرد بالسؤال على سؤاله ونأخذ إجابته ونصححها ونرد بها عليه.

٦) استخدام أسلوب الحوار للوصول للإجابة مما ينمّي
- لغته
- شخصيته.
- فكره
- علاقته بوالديه.

٧) استخدام أمثلة توضيحية قدر الإمكان مثال على ذلك، عند سؤاله: أين تذهب الشمس؟ يمكن استخدام كرتين واحدة صغيرة والأخرى كبيرة، ثم نحرّك الصغيرة أمام الكبيرة ليرى أنها لا تظهر بل أن الكرة الصغيرة تحتجب ورء الكرة الكبيرة، أو أننا نستخدم مصباح ونضع أمامه كرة، ثم نبدأ في تحريك الكرة حول نفسها أمام المصباح ليدرك معنى دورن الشمس وهكذا.

أمثلة لأسئلة الطفل والرد عليها

تنقسم أسئلة الطفل إلى خمس مجموعات:
- أسئلة جنسية.
- أسئلة عن الوجود.
- أسئلة حول اللَّه.
- أسئلة حول الموت.
- أسئلة حول الطبيعة.

أولاً: الأسئلة الجنسية

وتعتبر الأسئلة الجنسية هى أصعب الأسئلة التي يطرحها الطفل على والديه.

وذلك لعدة أسباب:
- حيث نرى أنها أكبر من سنه.
- تسبب خجل للمجيب.
- كثيراً ما يرى الوالدين أنها أصعب من أن يتم الرد عليها

ملاحظات عامة على الأسئلة الجنسية:

١) لا بد أن نجيب عليها لئلا يسأل غيرنا فيأخذ إجابة خاطئة أو إجابة أكبر من سنه.

٢) لا يجب ألاّ نُعَلِّم الطفل شيئاً عن الأمور الجنسية كالفروق بين الولد والبنت إلاّ عند سؤاله عنها لئلا نعطيه ما هو فوق سنه من معلومات.

٣) يُفضَّل أن تقوم الأم بتعليم الطفل هذه الأمور لأنها هى التي تتعامل مع جسده من رضاعة ومن حموم.

٤) يُلاحظ أن الطفل وخاصة الولد أكثر اهتماماً بأجزاء الجسد وخاصة المختلفة عنه: كثدي أمه وهى ترضع أخيه، وكبطن أمه التي زاد حجمها وهى حامل في طفلٍ آخَر، مما يلفت نظره ويولّد فيه الرغبة في المعرفة من خلال الأسئلة.

أمثلة للأسئلة المحرجة والرد عليها:

سؤال: لماذا بابا ليس له ثدي تماماً مثل ماما؟

أرجو ألا تستغرب ولا تنتهر بل رد كالآتي:

الإجابة: بابا له ثدي ولكنه صغير.

ولا تستكمل أكثر من ذلك إلا إذا سأل أكثر.

سؤال: ولماذا ثدي ماما كبير؟

الإجابة: ثدي ماما كبير لأنها تأكل والأكل يتحوّل إلى لبن، لأنها هى التي ترضع الطفل (أختك أو أخوك).

سؤال: ماما بطنها كبير ليه؟

الإجابة: فيها بيبي.

ولا تستكمل إلا إذا سأل المزيد.

سؤال: لماذا بابا لا يلد؟

الإجابة: اللَّه خلق ماما للولادة وبابا للعمل والتعب.

سؤال: وقد تسأل البنت ولماذا أنا لا ألد؟

لإجابة: لا تكري وتتكني ن حل الطفل في طنك.

سؤال: لماذا يتزوّج الولد بنت؟

الإجابة: كل طفل لازم يكون له بابا ويكون له ماما، عمرك شفت طفل له اتنين ماما أو اتنين بابا.

سؤال: ممكن أتزوج أختي لأني بأحبها؟

الإجابة: ربنا قال لا.

لا تضيف المزيد إلا إذا أضاف المزيد.

سؤال: ليه قال لا؟

الإجابة: لأن اللي يتزوّج أخته يجيب عيال عيانين.

سؤال: ليه الولد مختلف عن البنت؟

الإجابة: لأن الولد لمّا يكبر يبقى بابا، والبنت لما تكبر تبقى ماما، ماما تلد وترضع، وبابا يشتغل ويتعب (تأكيد للإجابة السابقة).

سؤال: ليه مش بأستحم مع أختي؟

الإجابة: لأنها كبرت.

من البداية يفضل الحموم منفصلين بسبب اختلاف السن والجنس، ولكن لا بد من الفصل التام عند الخامسة من العمر، على أن يبدأ ذلك قبلها بنوع من التدرُّج . ولكي تكون الإجابة مقبولة، لا يُسمح بحموم الأولاد معاً، أو البنات معاً لترسيخ أن الأمر مرتبط بالسن وليس الجنس .

ثانياً: أسئلة عن الوجود

يجد الطفل نفسه فجأة محاطاً بعالم كبير ومتنوع. ومن هنا تبدأ أسئلته التي تدور حول علاقته بهذا العالم: من أين جئت؟ وكيف جئت؟

ملاحظات هامة قبل طرح الأسئلة وإجابتها:

١) يجب تجنُّب الردود غير المنطقية أو الخرافية لئلا نفقد المصداقية، ولئلا نشوّه معلوماته التي تترسّخ في ذهنه، كأن نقول على الهدية أنها من ربنا عن طريق بابا نويل، أو أننا وجدناك جنب السرير أو على السرير.

٢) تجنُّب عدم الرد، فلا بد أن ترد مهما كانت الأسئلة محرجة أو صعبة.

٣) تجنُّب عبارة (لمَّا تكبر تعرف) التي يستخدمها الكثير من الآباء والأمهات للهروب من الإجابة.

نعود للأسئلة وإجابتها.

سؤال: من أين جئت؟

الإجابة: من بطن ماما.

الإجابة أبسط مما نتخيل وفي نفس الوقت سوف تكون كافية.

ومن الممكن تأكيد ذلك من خلال وجود امرأة حامل في العائلة، وبالتدريج مع سن الطفل ومن خلال دراسته سيعرف تفاصيل الحقيقة دون الحاجة إلى أن يسأل والديه.

ثالثاً: أسئلة عن اللَّـه

ملاحظات أولية:

١) يجب أن تكون الإجابات في حدود سنه وقدر معرفته.

٢) يجب أن تكون الإجابات في حدود ما يراه بعينيه قدر الإمكان.

سؤال: فين ربنا؟

الإجابة: ربنا في السماء بعيداً، وبالنسبة للأكبر في السن نقول له: فاكر كل يوم نبدأ صلواتنا بصلاة، وأترك له الإجابة ليجيب: أبانا الذي في السموات.

سؤال: لماذا لا أراه؟

الإجابة: ربنا عالي في السماء علشان كده لا نراه ولكنه من فوق يرانا كلنا.

مثال توضيحي: نأخذه فوق سطح المنزل، ونعرِّفه أننا نرى الكل من فوق والكل لا يرانا، وأقول للأكبر: لمّا كنا في الطائرة كنا نرى كل شيء تحتنا، ولكن لا يمكن لأحد أن يرانا، هكذا اللَّه فوق الكل يرى الكل، ولكن لا أحد يراه.

سؤال: أين الجنة؟

الإجابة: في السماء بعيد.

سؤال: شكلها إيه؟

الإجابة: جميلة جداً.

كل هذه الإجابات كافية جداً لصغار السن.

رابعاً: أسئلة حول الموت

ملاحظات أولية:

١ـ يجب أن نتجنّب حضور الأطفال الصغار للجنازة في الكنيسة مهما كانت درجة قرابة الميت.

٢ـ علينا أن نتجنّب حضور الأطفال جلسات البكاء والنحيب كالعزاء في البيوت أو غيرها.

٣ـ على الأم بقدر الإمكان تجنُّب إظهار مظاهر الحزن أمام الأطفال وخاصة البكاء.

سؤال: أين جدّي؟

الإجابة: سافر عند ربنا في السماء.

نلاحظ هنا الربط بين السماء وربنا كسابق تعليمنا للطفل وذلك لتأكيد المعلومة.

سؤال: وليه أنا مرحتش السماء معاه؟ عايز أروح له السماء؟

الإجابة: العواجيز هم إللي بيروحوا السماء، اللي بيحب ربنا لمَّا يكبر يروح السماء لأنها أحسن.

سؤال: امتى تيته تموت وتروح السماء؟

الإجابة: لسه ربنا عايزها معانا شوية، لأنها بتصلّي لنا.

خامساً: أسئلة حول الطبيعة

سؤال: منين بتيجي الشمس؟

الإجابة: هنا يمكن استخدام وسائل إيضاح: (كرة بنج بونج، أو كرة تنس أو كرة كبيرة أو بطيخة)، ونستخدمها لشرح الأمر.

سؤال: لماذا لا نرى القمر إلا بالليل؟

الإجابة: القمر موجود بالليل والنهار، لكن وجود الشمس بنورها الشديد بالنهار لا تجعلنا نرى القمر، ويمكننا استخدام شمعة بالنهار والليل، ويمكننا البحث عن القمر وهو بدر في السماء بالليل ونريه للطفل فيتأكد من الإجابة، وبالتالي نولِّد فيه البحث والتفكير.

الفهرس

مقدمة ٧

الفصل الأول:

يسوع المسيح الطفل ٩

الفصل الثاني:

السيد المسيح والطفل ٢٥

الفصل الثالث:

الكنيسة والطفل ٣٧

الفصل الرابع:

الأسرة والطفل ٥٩

الفصل الخامس:

الطفل وسلبياته ١١٣

الفصل السادس:

الطفل واللعب ١٤٥

الفصل السابع:

تساؤلات الطفل ١٥٣